مكانة الحرمين الشريفين

وجهود المملكة في خدمتهما
(مع قـراءة إسلامية لأنظمة الحكم فى المملكة)

الدكتور/ أحمد عمر هاشم

رئيس جامعة الأزهر



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بقلم معالى الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى

رئيس رابطة الجامعات الإسلامية

لا يوجد فى التاريخ البشرى ، موقع دينى يتمتع بالمكانة التى يتمتع بها الحرمان الشريفان فى مكة المكرمة والمدينة المنورة .

فالبيت الحرام بوصفه أول بيت وضع للناس للعبادة ، يعلو فى المكانة وعلى امتداد الزمان على كل ما عرفته البشرية من أماكن للعبادة فى مختلف الملل والنحل .

ومسجد الرسول ﷺ منذ أن أسس فى المدينة النبوية يعد على مر القرون مقصد المسلمين للصلاة فيه .

وقد يوجد أصحاب نحل أكثر عدداً من المسلمين لكن المكانة العالمية والإنسانية التى يتمتع بها المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ لم تعرف فى نحلة قط ، ولا فى مكان آخر .

* إن أبا الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام، إنما رفع قواعد البيت ، فهو بذلك كان يجدد بيتًا وجد من قبل ، وكأنه كان يعيد مهمة لهذا البيت طغت عليها عوامل الشرك حين ضل الناس عن توحيد الله ، وتوزعتهم أوثان وأصنام وطواغيت .

* وفى مختلف العصور يسخر الله سبحانه وتعالى ويوفق للبيت الحرام من يرعاه ومن يطوف بكعبته ، ومن يخدمه ويخدم الحجيج والمعتمرين ، بل كان

الناس يتنافسون على أداء هذه الخدمة ،ويعتبرون الظفر بها شرفا فى الدنيا ، وفوزا فى الآخرة .

* وقد جاء ذكر مكانة البيت الحرام فى غير آية من آيات القرآن الكريم :

قال تعالى :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران : ٩٦ ، ٩٧] .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

[المائدة : ٩٧]

وقال جل من قائل:

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ . وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة : ١٢٥ ، ١٢٦].

وقال الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧ ـ ١٢٩] .

وقال سبحانه :

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾[إبراهيم: ٣٧] .

وجاء ذكر الحرمين الشريفين ومكانتهما فى أحاديث نبوية شريفة، منها :

قوله ﷺ :

«والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله وأحب البلاد إلى نفسى ، ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت » .

وقوله ﷺ :

« لا يحل لأحدكم أن يحمل بمكة السلاح ».

وقوله :

« إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس ، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليـوم الآخر أن يسفك بها دمـا ، ولا يعضد بها شجرة ، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا له : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لى فيها ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، وليبلغ الشاهد الغائب ».

وعن أنس رضي الله عنه أن النبى ﷺ أشرف على المدينة فقال :

« اللهم بارك لهم فيمدهم وصاعهم » متفق عليه .

وعند البخارى أن النبى ﷺ قال :

« المدينة حرم من كذا وكذا ، لا يقطع شجرها ولا يحدث فيها حدث ،من أحدث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ».

وعند مسلم عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « إن إبراهيم حرم مكة ، وإنى حرمت المدينة، ما بين لابتيها لا يقطع عضاها ، ولا يصاد صيدها ».

وعند مسلم أيضًا قوله :

« إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلى ولم يحل لى إلا ساعة من نهار ، فهوحرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، لا يعضد شوكه ، ولا ينفر

صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلى خلاها ».

وقوله :

« ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ».

وقوله :

« إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها ، وإنى حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ، وإنى دعوت فى صاعها ومدها بمثلى ما دعا به إبراهيم لأهل مكة ».

ودعا رسول الله ﷺ لأهل المدينة بالبركة فقال :

« اللهم اجعل بالمدينة ضعفى ما جعلت بمكة من البركة ».

وقال ﷺ :

« المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه ، ولا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلا كنت له شفيعًا أو شهيدًا يوم القيامة » .

وقال عليه الصلاة والسلام :

« المدينة حرم ، فمن أحدث فيها حدثًا أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه يوم القيامة عدل ولا صرف شيء ».

وتوعد الرسول ﷺ من أراد أهل المدينة بسوء فى قوله :

« من أراد أهل هذه البلدة بسوء أذابه الله كما يذوب الملح فى الماء ».

وقال عليه الصلاة والسلام :

« لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح فى الماء ».

وقال رسول الله ﷺ :

«من أخاف أهل المدينة ظالما لهم أخافه الله ، وكانت عليه لعنة الله » .

وقال ﷺ :

« إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها ».

وقال :

« صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام ، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة فى مسجدى ».

وقال : « على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال » .

وما ورد فى فضل مكة المكرمة والبيت الحرام من آيات القرآن الكريم ، والأحاديث الصحيحة ، وما ورد فى المدينة النبوية من أحاديث ، يجعل الأمن من أهم الأمور فيهما .

والأمن فى البيت الحرام يشمل الحياة كلها ، أمن الإنسان والطير والشجر ، والأمن فى المدينة يحمى أهلها وإيمانهم وساكنيها وزادهم ، فقد دعا النبى ﷺ بالبركة لأهلها ، وحذرمن إخافتهم بظلم أو إرادتهم بسوء .

وقبل هذا وبعده ، فإن ثواب الصلاة فى المسجد الحرام ، أو فى المسجد النبوى يتضاعف أضعافًا عظيمة ــ كما ورد فى الأحاديث الصحيحة .

﴿ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١] .

وقد قامت الدولة السعودية فى العصر الحديث على يد الإمام محمد بن سعود رحمه الله وأيدت بنصرها دعوة المصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، قامت هذه الدولة على أساس إقامة شريعة الإسلام ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وفى عهد الإمام محمد بن سعود بدأت الإمامة فى بيت آل سعود ، وبدأ الاهتمام والرعاية بالحرمين الشريفين ، وتتابع ذلك ، لتحقيق الأمن ، وخدمة ضيوف الرحمن على يد الملوك والأمراء من آل سعود .

هذه بعض ملامح المكانة الدينية للحرمين الشريفين . .

أما من الناحية الحضارية والتاريخية ، فقد كان الحرمان الشريفان ــ ولا زالا ــ قلب الدائرة المركزية للعالم الإسلامى إذا تخيلنا عالمنا الإسلامى دائرة

كبيرة، تحيط بها دوائر متراكمة تمتد من قلب مكة والجزيرة العربية فى كل الأبعاد والاتجاهات إلى حيث بلاد آسيا أكبر قارات العالم ، ومن ثم إفريقيا وأوربا ثم استراليا والأمريكيتين !!

إن مكة وشقيقتها المدينة هما القلب بحق ويقين ؛ فالمسلمون مهما تباعدت بهم الأوطان يتجهون خمس مرات على الأقل فى اليوم والليلة إلى مكة ، وكما يلتف المصلون فى المسجد الحرام حول الكعبة من كل النواحى ، كذلك يلتف المسلمون وهم يتجهون إلى القبلة ، حول الكعبة ومكة من كل النواحى أيضا فى الكرة الأرضية .

وقد يحمل الإنسان فى يديه ساعة تحدد له اتجاه القبلة حيثما كان، حتى ولو جاب فى يومه أقطاراً تختلف بين قارة وأخرى.

إن هذا المعنى الرائع لا يجوز أن نتعامل معه على أنه مجرد حقيقة روحية ونفسية وحسْب ، على الرغم من أن ذلك بعض معانيه ، فهذا الرمز العظيم لابد له من أجل أن يتحقق أن تبذل له جهود علمية ومادية وصناعية وتجارية كثيرة، فعلم الفلك ، وعلم الحساب وعلم الجغرافيا .. هذه العلوم وغيرها لابد من أن تتعاون من أجل تحديد المكان وتحديد ما ينسجم معه من زاوية تتجه بالتحديد الدقيق صوب مكة والكعبة ، إن جهودًا كبيرة تبذل عند إقامة المساجد فى كل أنحاء العالم من أجل تحديد القبلة ، ومن أجل تحديد مواقيت الصلاة ، فكيف بنا إذا فكر الناس فى الذهاب إلى الحج والعمرة ،وهم فى جنوب شرق آسيا أو فى أدغال إفريقيا أو فى غابات استراليا ، أو فى أعماق أمريكا الشمالية أو الجنوبية ؟

إن الجغرافيين والمؤرخين رصدوا كثيرا من الجهود التى بذلت لتسهيل الرحلات إلى الحج ، وقبل أن يصل الناس إلى اختراع السيارة والطائرة كان الأمر يحتاج إلى جهود كبيرة ،ونستطيع أن نعرف مدى الفوائد الحضارية التى كانت تجنى من

رحلات الحج والعمرة إذا قرأنا كتب الرحالة المسلمين فى عصور الإسلام الزاهرة ، التى امتدت أكثر من عشرة قرون ، وسوف نعرف منها طبيعة الخدمات التى كانت تقدم على الطرق من نزل وخانات، ومن نشاطات تجارية وثقافية ، وكيف كانت العواصم الإسلامية كلها تتهيأ لاستقبال الضيوف العابرين ، الذين ربما يستقرون فى المدينة أسبوعا أو أسبوعين ليتعرفوا على أشهر علمائها الذين كانوا يسمعون عنهم أو يقرؤون لهم ويتمنون أن يلتقوا بهم ، وليتزودوا بما يحتاج إليه المسافرون ، بل وقد يلتقون إذا كانوا من المثقفين والعلماء بأمراء البلاد ووزرائها ، وقد يتبادلون الآراء ووجهات النظر ويتعرفون على ما يدور فى البلاد هنا أو هناك.

ولا يمكن أن ينكر عمل الحكام والأمراء والوزراء الذين كانوا يرون فى خدمة الحجيج وطرق الحج بابا من أبواب الاحتساب ، فيبذلون فيه الكثيرمن الأموال والجهود يقينا منهم ــ وهم محقون ــ بأن ذلك من أزكى القربات إلى الله . . . على أن ذلك نفسه كان فعلا تعميريا يؤدى إلى تيسير الرحلات، وبالتالى تأمين الطرق وتأمين سلامة الناس، وفتح المجالات أمام الناس ليجوبوا عالمهم الإسلامى يتعلمون ويعلمون، ويأخذون ويعطون .

ولم يكن الأمر ــ كما هو الحال فى عصرنا ــ محصوراً فى شهر أو شهرين، فبعض الحجاج كان يبدأ رحلته إلى الحج قبل الموسم بسنة أو سنتين لأنها لم تكن رحلة عبادة فقط ، بل كانت رحلة عبادة وعلم وعمل ودراسة لكل ما كان يحتاج إليه الحاج من بلاد غيره التى قد لا يتمكن من المرور بها والالتقاء بأهلها مرة أخرى . لقد كانت هناك آثار حضارية كثيرة عمت كل المسلمين، وأحدثت تلاحمًا كبيراً ، وتعارفًا عميقًا ،وتعميقًا للخبرات ، على مستويات عدة . . . وحبذا أن يهتم الدارسون بهذا الجانب ليعرفوا أثرا من آثار الحرمين .

لقد كتب الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم ، رئيس جامعة الأزهر ، هذا

الكتاب الذى أقدم له: « مكانة الحرمين الشريفين ، وجهود المملكة فى خدمتهما ـ مع قراءة إسلامية لأنظمة الحكم فى المملكة » .

وأحسن ـ بارك الله فى جهوده ـ فى اختيار هذا الموضوع المهم ، الذى قل أن يتنبه إليه الباحثون ، مع ماله من أهمية عظيمة فى تاريخ المسلمين الدينى منذ إبراهيم خليل الرحمن الذى كان حنيفا مسلما ، وحتى حياتهم فى الحاضر والمستقبل ؛ ذلك أن الحرمين الشريفين لهما فى نفوس المسلمين المكانة الكبيرة، ويرتبط تاريخهم الإسلامى بهما ، ويتجه المسلمون حيثما كانوا إلى مكة المكرمة ، يقصدونها لأداء الركن الخامس ،الحج ، وواجب العمرة ، والتزود من العمل الصالح فى بيت الله الحرام ، وكذا فى مسجد رسوله ﷺ .

ودراسة النظام الأساسى للحكم ، ونظام مجلس الشورى ، والأنظمة الأخرى فى المملكة العربية السعودية، دراسة علمية من وجهة النظر الإسلامية ، مهمة لكل المسلمين أينما كانوا ؛ لأن المملكة العربية السعودية هى الدولة المحكمة لشرع الله تعالى فى جميع شؤونها ، فهى بذلك مثل حى واقعى ، يشهد بالانسجام التام بين الإسلام وتشريعاته ، والأخذ بوسائل التقدم النافعة فى مختلف مجالات الحياة ، مما يدحض عمليًا وواقعيًا كل شبه الذين يزعمون أن تعاليم الإسلام تتعارض مع روح العصر ﴿ **كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا** ﴾ [الكهف : ٥]

فهذه المملكة العربية السعودية ،بلد الإسلام الأول ، ومنطلق دعوته ورسالته، تطبق الشريعة ، وتسير على هديها ، وفق ما فى كتاب الله وسنة رسوله، وما كان عليه سلف الأمة الصالح .

وهى فى مرافقها ومؤسساتها وحياتها الاقتصادية والتعليمية والاجتماعية ، آخذة بكل جديد نافع ،تتفوق فى جوانب كثيرة من شؤونها على أرقى الدول العصرية الحديثة ، وبخاصة فى الأمن والاستقرار والترابط والتعاون والرفاهية

والخيرالذى يسود مختلف فئات شعبها .

وذلك كله بتوفيق الله ، ثم بتمسك قادتها بالإسلام وتطبيق أحكامه .

لقد تحدث المؤلف ــ وفقه الله ــ عن الحرم المكى ، وحرم المدينة ومالهما من حرمة وفضل .

ثم ألحق بهذا الكتاب ملحقًا تضمن ماجرى من توسعة فى الحرمين الشريفين، وإعمارهما فى مختلف العصور الإسلامية ، حين بدأت التوسعة السعودية الأولى على يد الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ـ رحمه الله ـ سنة ١٣٧٠ هـ، وتابعه وزاد فيها أبناؤه الملوك: سعود وفيصل وخالد ـ رحمهم الله.

ثم كانت التوسعة الكبرى التى تمت فى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبد العزيز آل سعود حفظه الله ، فكانت تتويجًا لجهود الملوك من آل سعود ، وأعمالهم الجليلة فى خدمةالحرمين الشريفين ، ورعاية حجاج بيت الله من جميع أنحاء العالم .

وهذه التوسعة ــ كما تبدو من قدرها ونفقتها ودقة تنفيذها ـ هى أعظم توسعة تمت فى التاريخ الإسلامى كله للحرمين الشريفين فى مكة المكرمة والمدينة المنورة، ولم تقتصر تلك التوسعة على الحرمين فقط ، بل شملت كل المشاعر .

وفى الملحق الذى أضيف إلى هذا الكتاب تفصيل ذلك مما يغنى عن الإشارة إليه .

وقد تناول المؤلف الأنظمة التى صدرت فى المملكة العربية السعودية ، وهى جميعًا تستند إلى الكتاب الكريم والسنة النبوية .

فالشريعة فى بلد الحرمين الشريفين ، هى الحاكمة ، وهى التى يحتكم إليها دون غيرها حين تشتبه الأمور .

* وقد أشار المؤلف إلى أنظمة الحكم الرئيسة فى المملكة تحت عنوان :« قراءة إسلامية لأنظمة الحكم فى المملكة » وذلك فى صفحات قليلة .

وهذه الأنظمة تتضمن النظام الأساسى للحكم ،ونظام مجلس الوزراء، ونظام المناطق ، ونظام مجلس الشورى .

* وقد وجه خادم الحرمين الشريفين كلمة ضافية إلى المواطنين بمناسبة إصدار هذه الأنظمة ، بيّن فيها - حفظه الله - بيانا شافيًا توجهات المملكة ، وأهدافها وغاياتها منذ قيامها فى العصر الحديث على يد الأمير محمد بن سعود رحمه الله عام ١١٣٩ هـ (١٧٢٦م) ، مؤكدًا التزامها الدائم بمنهج الإسلام فى كل شؤونها داخليا وخارجيًا ، وأورد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - حفظه الله - فى كلمته الأصول الكبرى التى قامت عليها المملكة العربية السعودية ، والتى وضع ركائزها الملك المؤسس عبد العزيز - رحمه الله - منذ عام ١٣١٩ هـ(١٩٠٢م) حين شرع - رحمه الله - فى توحيد المملكة ،ووضع أسس نهضتها وتقدمها ، وهى تلك الأسس التى سار عليها خلفاؤه العظام من بعده .

* وقد أشارت كلمة خادم الحرمين الشريفين إلى معنى جليل ، هو أن الأنظمة الثلاثة : النظام الأساسى للحكم ،ونظام مجلس الشورى ،ونظام المناطق، لم تأت فجأة ولا صدرت من فراغ ؛ لأنها - كما قال خادم الحرمين الشريفين - توثيق وتحرير لشىء قائم ، وصياغة لأمر واقع معمول به .

والمعنى الذى ينبغى التنبيه عليه ، هو أن تلك الأنظمة الثلاثة بما فيها من تأسيس إسلامى تعد ترسيخاً للتمسك بالمنهج القويم الذى سارت عليه المملكة منذ نشأتها، وهو الأخذ بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فى كل مجالات حياتها ، ذلك المنهاج الذى ازداد ظهورا ورسوخًا منذ وفق الله الملك عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - إلى توحيد المملكة منذ نحو قرن من الزمان ، فأصبح هذا المنهاج الإسلامى أساسا راسخًا فى هذه المملكة ، فهو منهاجها الدائم منذ نشأتها ، وطريقها إلى مستقبلها المشرق ، بإذن الله،اتباعا لأمر الله عز وجل ، واختيارًا

للطريق الأقوم : ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣] .

* وتقتضى القراءة الإسلامية للأنظمة الرئيسة فى المملكة ، أن يرد ما أوردته هذه الأنظمة من أحكام نظامية إلى أصلها الذى أخذت منه ، ومصدرها الذى استمدت منه ، وهو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ؛ لأن رد هذه الأنظمة إلى أصلها ومصدرها ، يجعل لها من التقدير ما يكفل لها الاتباع عن اختيار واقتناع، وهى غاية كل قانون، وهدف كل نظام ... وهذا متيسر لكل متخصص فى الدراسات الإسلامية .

* لقد أعلنت المملكة عن ذاتيتها وهويتها فى المادة الأولى من المبادئ العامة فى نظام الحكم، وأنها دولة عربية إسلامية ذات سيادة تامة ، دينها الإسلام ، ودستورها كتاب الله تعالى ،وسنة رسوله ﷺ ولغتها هى اللغة العربية .

إن عناصر الذاتية والهوية متكاملة فى هذا النص، تجمع بين الإسلام دينًا والعروبة وطنًا ، وتتخذ من كتاب الله وسنة رسوله دستورًا ، ومن لغة القرآن لغة واحدة لشعبها .

وفى المادة الثانية من المبادئ العامة وتأكيدا للذاتية الظاهرة والهوية المتميزة ، فإن أعياد الدولة هى أعياد الإسلام ـ عيد الفطر ، وعيد الأضحى ، وحساب أيامها بتقويم الإسلام ـ التقويم الهجرى .

وفى المادة الثالثة يعلن شعار الدولة الذى هو شعار المسلمين فى كل مكان، ويميزهم على كل أمة : «لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

تحت هذا الشعار يمكن أن تقف الأمة الإسلامية كلها ، وفى ظله وحده يكمن نصرها وعزها ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ﴾ [الحج: ٤٠] .

* وتقوم ولاية الحكم على البيعة كما يعرفها الإسلام ، فالمواطنون يبايعون الملك على كتاب الله وسنة رسوله ، وهى بيعة على السمع والطاعة ، تحقيقًا لقوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء : ٥٩].

وهى بيعة لازمة فى كل حال ، فى العسر واليسر ،وفى المنشط والمكره ، كما هو شأن بيعة الحاكم المسلم منذ عهد الخلافة الراشدة .

وبعد ذكرالبيعة فى نص المادة السادسة ، تبين المادة السابعة مباشرة سلطة الحكم التى بايع الناس عليها الملك ، إن سلطة الحكم هنا مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ، وهما الحاكمان على كل الأنظمة فى الدولة .

إن سلطة الحكم هنا تمثل الشرعية الدينية ؛ لأنها مستمدة من كتاب الله عز وجل، وتمثل الشرعية السياسية ؛ لأنها ناشئة عن بيعة أهل الحل والعقد .

* * *

* وقد أورد نظام الحكم فى الباب الثالث منه مقومات المجتمع السعودى ، وهى مقومات مستمدة مباشرة من الإسلام ، فى أصوله وأحكامه العامة ، ومنظومته الخلقية الكاملة ، ومن أهمها أن الأسرة هى نواة المجتمع ، وكذلك تربية النشء على أساس العقيدة الإسلامية ، واحترام النظام ، وهو قيمة إسلامية، وحب الوطن والاعتزاز به .

كما أوردت المادة العاشرة ـ تأكيدًا لهذا النهج ـ التزام الدولة بالحرص على توثيق أواصر الأسرة ، والحفاظ على قيمها العربية والإسلامية ، ورعاية جميع أفرادها بما ينمى ملكاتهم وقدراتهم ، وهو التزام من ولى الأمر بأن تكون تصرفات الدولة فى جميع المجالات ، لاسيما فى التعليم والإعلام ـ تصب فى مصلحة رعاية الأسرة : الأمّ والأب والأبناء .

كما أوضحت المادة الحادية عشرة من نظام الحكم أن المجتمع السعودى يقوم على أساس الاعتصام بحبل الله ، وعلى التعاون والتكافل ، وعدم التفرق ،وهى قيم إسلامية مستمدة مباشرة من القرآن الكريم والسنة المشرفة ، يقول تعالى:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا ﴾[آل عمران : ١٠٣] ويقـول تعالى :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة : ٢] .

وفى الحديث الشريف : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم » .

وفى التكافل الاجتماعى فرض الإسلام الزكاة تؤخذ من الأغنياء، وترد بواسطة ولى الأمر على الفقراء ، ففى القرآن الكريم :

﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ . لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ [المعارج : ٢٤، ٢٥] .

وهكذا ترجع مقومات المجتمع السعودى إلى أصلها فى الشريعة ، مما يجعل الحفاظ على هذه المقومات والتمسك بها نابعًا من الإيمان بها ، واعتبارها ضمانًا لمجتمع سليم الأسس يقوم عليها ، ويتقدم بها نحو المستقبل .

* وقد ورد فى نظام الحكم المبادئ الاقتصادية ، التى وضعت على ضوء مقررات الإسلام وأصوله وقواعده العامة وأحكامه القطعية .

إن ثروة البلاد من نعم الله عز وجل على المملكة ، تنفق ويستثمر عائدها من أجل مصلحه البلاد والعباد ، والملكية لها احترامها وحمايتها ، وتكفل الدولة ذلك للملكية الخاصة .

ومن أفضل النصوص فى عرض المبادئ الاقتصادية ما ورد فى المادة السابعة عشرة ، من أن الملكية ، ورأس المال، والعمل حقوقٌ خاصة ، ولكنها تؤدى وظيفة اجتماعية وفق الشريعة الإسلامية .

هنا تظهر وسطية الإسلام، التى جنبت المجتمع السعودى وحمته ـ بفضل الله ـ من الإفراط فى جمع المال ، كما تفعل بعض النظم الاقتصادية، بحيث لا يكون له هدف إلا خدمة أصحابه فحسب ،وتختفى وظيفته الاجتماعية ، كما جنبته التفريط فى حقوق العمل أو المبالغة فى اعتباره سببًا فى كل الربح والنمو الاقتصادى .

إن رأس المال والعمل يتعاونان فى الشريعة الإسلامية من أجل المصلحة

الخاصة والعامة، ولا يتنافسان على المغنم والفائدة لمصلحة أصحابهما فقط ، أو يهدف أحدهما إلى إلغاء الآخر وبخس مكانته فى المجتمع ، كما فعلت بعض المبادئ الاقتصادية التى انهارت بسبب فسادها ، كالماركسية .

والتعاون بين رأس المال والعمل يكفل العدل والمصلحة ، وتحقيق وظيفة كل منهما فى خدمة المجتمع .

ولا شك أن وسطية هذه المبادئ الاقتصادية هو تطبيق لمنهج الوسطية التى جعلها الله خصيصة هذه الأمة :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

وهذه الوسطية تضمن مصلحة الفرد ، ومصلحة المجتمع ، وتسوى بين رأس المال وبين العمل ، وتعطى كلا منهما فرصته لخدمة المجتمع ،وتطلق طاقات المواطنين للعمل والإنتاج على هدى من الشريعة ،وتكفل لكل حقه بحسب عمله وجهده ، وتحفظ للعاجز وغير القادر من فقراء الناس ومساكينهم حقهم فى العيش بما يكفل الكرامة الإنسانية لكل إنسان يعيش على أرض هذه المملكة .

* وقد أشارت المبادئ الاقتصادية إلى فريضة الزكاة ، ووجوب إنفاقها فى مصارفها الشرعية وأوجبت العدل فى فرض ما قد يكون لازما من الضرائب والرسوم، فلا تفرض إلا عند الحاجة ، ومع مراعاة العدل فى قيمتها وفى تحديد الملزمين بأدائها .

كما أوجبت تلك المبادئ أن تقوم خطة التنمية على أساس من العلم والعدل،وكفى بهما أساسا لكل خطة للنمو فى أى مجتمع إنسانى ، ومن يطلع على فقه المسلمين الأوائل فى التكاليف المالية يجد تعبيرًا صادقًا عنه فى هذه النصوص بما يناسب الحال فى الزمان والمكان .

وبيّن نظام الحكم حقوق المواطن وواجباته فى الباب الخامس من نظام الحكم.

إن من الحقوق العامة حماية الدولة للإسلام ، وتطبيق شريعته ، والقيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

ومما ورد فى نظام الحكم قيام المملكة بإعمار الحرمين الشريفين وخدمتهما ، وتوفير الأمن والرعاية للحجاج والعمار، وتحقيق آمال الأمة العربية والإسلامية، إن ذكر هذه الأمور وقيام المملكة بأدائها عن طيب خاطر ، هو مجرد تقرير وتوثيق لما تقدمه المملكة من إعمار وخدمة للحرمين الشريفين ، وماتقدمه من مساعدة مادية ومعنوية لخدمة المسلمين فى داخل الوطن الإسلامى، وخارجه .

* ومن أعظم ما جاء فى نظام الحكم: التزام المملكة ــ وهى نموذج فى التطبيق الإسلامى ــ بحماية حقوق الإنسان وفقا لشريعة الإسلام ، وهذا يعنى حماية كرامة الإنسان وحريته ، وحقه فى الحياة ، وسلامته ، وأمنه ،والمساواة بين المواطنين وفق شريعة الله العادلة .

ولا شك أن ذلك يأتى اتباعًا لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾[الإسراء: ٧٠] .

وأخذًا بقوله ﷺ : « الناس سواسية كأسنان المشط » .

وتحقيقًا لما ورد : « أطيعونى فى ضعفائكم »، فعناية المملكة بالضعفاء والمعوقين ، والتزامها برعايتهم تطبيقٌ لمنهج الإسلام فى رعاية كل طوائف المجتمع على اختلاف أحوالها وظروفها .

كما أورد نظام الحكم مبدأ معاونة ولى الأمر لمن يقدر على العمل ، ويبحث عنه، فى توفير فرصة العمل له ــ وقد فعل الرسول ﷺ ذلك كما فى سنته الشريفة ــ وفق أنظمة تحمى العامل وصاحب العمل معًا.

هنا تبدو الوسطية الإسلامية التى تحفظ الحقوق لكل الأطراف ،وتدفعها إلى التعاون بدلا من التباغض أوالتحاسد .

وتوفر الدولة التعليم العام ، وتقوم بمكافحة الأمية .

وتوفر الأمن لجميع المواطنين والمقيمين على أرض المملكة .

وتحفظ الدولة حرمة المساكن ، فلا يجوز دخولها بغير إذن أصحابها ، ولا تفتش إلا وفقا للنظام وما يحدده من حالات تجيز ذلك.

كما نص نظام الحكم على شخصية العقوبة ، فلا توقع إلا بناء على حكم شرعى أو نظامى وعلى الأفعال اللاحقة للعمل بالنص النظامى ، وهذا كله من أصول الشرع وقواعده .

* وحفظ نظام الحكم الأساسى حرمة المراسلات والاتصالات بين الناس ، وحرية التعبير بالكلمة الطيبة ، وحق المواطنين فى التقدم بشكاواهم إلى ولاة الأمور حتى فى مجلس الملك أو مجلس ولى العهد.

* وهذا الذى أورده نظام الحكم الأساسى فى المملكة تطبيق لمنهج الإسلام ، فحرمة المساكن ثابتة بنص القرآن الكريم فى آداب الدخول والاستئذان :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [النور: ٢٧]

وقوله تعالى :

﴿ فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ﴾

[النور: ٢٨] .

وهى آداب الإسلام وأحكامه وضعت فى نصوص شرعية نظامية تكفل التزام الجميع بها .

وفى شأن حفظ حرمة المراسلات والمكاتبات تنفيذ لشرع الله عز وجل، فقد نهى الله تعالى عن التجسس : ﴿ وَلا تَجَسَّسُوا ﴾ [الحجرات: ١٢] .

ونهى عن قول الكذب ، وشهادة الزور ، وإشاعة الفاحشة والغش فى النصيحة ، وأوجب على الناس التناصح بينهم ، ومناصحة الحاكم بالكلمة الطيبة الصادقة : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة : ٨٣] .

وتوعد الذين يستغلون قدرتهم على مخاطبةالناس فى قول الزور ، أو إشاعة

الفاحشة بالعذاب الأليم :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور : ١٩] .

كما حذر الله من الفتنة : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال : ٢٥] وجعل الله الفتنة جريمة كبرى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ [البقرة : ٢١٧] .

وكما عهد المسلمون فى حكامهم ، لاسيما فى عهد الخلافة الراشدة ، أن يستمعوا لشكاواهم ، وأن يوفّوهم حقوقهم ، فقد نص نظام الحكم الأساسى على حق المواطن فى الشكوى حتى إلى الملك .

ولا ننسى فى هذا المجال أن النص على ذلك التزام من الدولة باتباع حكم الشرع ، وما سار عليه الخليفة أبو بكر الصديق رضى الله عنه حين خاطب الناس فى أول خلافته قائلا : «الضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ الحق له، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه » .

فالشكوى إلى ولاة الأمور من حقوق المسلمين منذ عهد النبوة ، ومن حقوقهم الشرعية فى كل مجتمع تطبق فيه شريعة الله ، التى تحرم التظالم بين الناس ، وتجعل الأئمة وولاة الأمور ومن يتبعونهم من الولاة والقضاة مسؤولين عن سماع الشكوى، والعمل على إنصاف المظلوم ، والضرب على يد الظالم.

* ولا يخفى أن ما تقدم يجد الأساس الواضح والظاهر له فى أحكام الشرع الإسلامى، ويطول بنا الحديث إذا أردنا أن نرد كل نص من نصوص نظام الحكم إلى أصله ومصدره من كتاب الله وسنة رسوله . والرد إليهما كان ـ ولا شك ـ هدفًا وغاية للنظام الأساسى للحكم فى المملكة وفق أصول الإسلام وقواعده وأحكامه .

* ونجد فى نظام الحكم تحديدًا لسلطات الدولة ، وتأكيدًا لاستقلال القضاء ، وحق التقاضى للمواطن والمقيم ، وإلزامًا للمحاكم بتطبيق شريعة الله وما يصدره

ولى الأمر من أنظمة تتفق معها فى نصوصها أو أصولها أو قواعدها العامة.

ولا يخفى أن هذه الأحكام من أصول الإسلام وقواعده ، وردها إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وإلى عهد الخلافة الراشدة ، ميسور لكل مسلم .

* وقد جعل نظام الحكم الأساسى « الشورى» فى صلب نصوصه بإنشاء مجلس للشورى ، ووضع لها نظامًا معينًا لممارستها بما يكفل له أداء عمله ، والقيام بما فيه مصلحة المملكة ومواطنيها ،وخدمة للإسلام وأمته.

* وقد جاءت نظم مجلس الشورى والمناطق صورة للأنظمة التى تستمد من الأصول الإسلامية ، وترمى إلى الإصلاح والتطوير لفائدة المواطن وأمنه ورخائه.

ولا شك أن هذه الأنظمة تعبر عن الالتزام بتطبيق الشرع فى كل ما تضعه الدولة من أنظمة ، وتأخذ بما تمليه السياسة الشرعية من وجوه الإصلاح والتطوير بحسب مستجدات علوم الإدارة والسياسة فى تنظيم مصالح الناس ، والحفاظ على أمنهم ، ورفع مستوى المواطن ماديًا وثقافيًا ،وإتاحة الفرصة أمامه لكى يسهم فى تقدم بلاده ، ويحفظ لها المكانة التى أنعم الله عليها بها ، بوصفها الأرض المقدسة التى تضم الحرمين الشريفين فى مكة المكرمة والمدينة المنورة.

إن أعظم ما جاء به نظام الحكم الأساسى فى المملكة ، ونظام مجلس الشورى والمناطق - يتمثل فى أنه صياغة إسلامية أمينة تقف شامخة البنيان ، وراسية الأركان أمام كل نظم الحكم القائمة ، ونموذج واضح أمام كل دول العالم الإسلامى المعاصرة فى كيفية الحفاظ على ذاتيتها وهويتها الإسلامية وكفالة حقوق المواطنين ومصالحهم ، والتقدم إلى المستقبل فى طريق واضح المعالم .

ولقد سررت باهتمام معالى الأخ الدكتور/ أحمد عمر هاشم بهذا الموضوع والكتابة فيه ، ويسر الله لى مطالعة عجلى لبعض ما جاء فيه ، فوجدته نافعًا مفيدًا فى بابه.

وأرجو أن يتمكن معاليه من معاودة النظر فى هذا الكتاب المفيد ، وتوسعته ،

ليستوفى جوانب أخرى مهمة فى هذا الموضوع الحيوى ، الذى يحرص كل مسلم على التعرف على مختلف جوانبه وماله ارتباط به ، ومعاليه خير من يقدر تلك الأهمية شاكراً ومقدراً له ما بذله من جهده .

جزى الله المؤلف خيرًا ونفع بكتابه ، والله نسأل أن يظلل برعايته خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود ، وأن يحفظه ذخرًا لبلاده وللمسلمين ، وأن يبارك فى جهوده لخدمة أمته الإسلامية والعربية ،وأن يعين ولى عهده الأمين الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود ، وسمو نائبه الثانى الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود ، وأن ينصر بالجميع دينه ،ويعلى بهم كلمته، وأن يجمع المسلمين قادة وشعوبًا على كتاب الله وسنة نبيه ، وأن يؤلف بين قلوبهم على الطريق المستقيم .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الدكتور/ عبد الله بن عبد المحسن التركي

رئيس رابطة الجامعات الإسلامية

تـوطئـة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فللحرمين الشريفين مكانتهما فى الإسلام ، ومنزلتهما فى قلوب المسلمين ، فقد اختار الله، جلت حكمته ، تلك البقاع المقدسة لتكون منزلاً للوحى ،ومهبطًا للملائكة ، ومنطلقًا للدعوة الإسلامية ، وقبلة للمسلمين يُولّون وجوههم شطر المسجد الحرام ، وموقعًا لأداء فريضة من فرائض الدين وركن من أركان الإسلام.

وفى ربوع تلك البقاع المطهرة نشأت الدولة الإسلامية الأولى ، وفى رحابها تخرج الرعيل الأول من المسلمين الذين كانوا خير الناس ، وكان قرنهم خير القرون ، لقد رفعوا مشاعل الهدى والنور ، وتحملوا عبء الرسالة ، واستعذبوا الأذى فى سبيلها ،وقاموا بالأمانة الإلهية خير قيام .

ومن أهم الخصوصيات الدينية التى اختص الله تعالى بها الحرمين الشريفين،أنه جعل الصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة وفى المسجد النبوى بألف صلاة ، قال رسول الله ﷺ : « صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » رواه مسلم .

وإذا كان الحرم المكى يضم الكعبة المشرفة قبلة المسلمين التى يتجهون إليها فى كل صلاة ، فإن الحرم النبوى ترتبط به أفئدة الموحدين ، الذين آمنوا بالله ربًا،

وبالإسلام دينًا ، وبسيدنا محمد ﷺ نبيًا ورسولاً ،

كما تتعلق به قلوب المخلصين المحبين لخاتم الأنبياء والمرسلين . وفى الحرم النبوى الروضة الشريفة ،التى قال عنها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: «ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة » رواه مسلم.

ومن أجل هذا كله ، عُنِىَ المسلمون ، وولاة الأمر فيهم ، بهذين الحرمين وبخدمتهما وتوسعتهما جيلا بعد جيل، حتى كانت هذه التوسعة المعاصرة الأخيرة التى تمت فى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وسمو ولى عهده الأمين الأمير عبد الله بن عبد العزيز، حيث أصبحت التوسعة المعاصرة للحرمين الشريفين تمثل أعظم إنجاز حضارى وإسلامى ،يليق بمكانة الحرمين وقدسيتهما ، ومنزلتهما فى قلوب المسلمين ، وأصبح الحرمان الشريفان يتسعان لآلاف المسلمين الذين يأتون من مشارق الأرض ومغاربها.

مما يشهد لهذا العهد السعودى ، ولحكومة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبد العزيز ، وولى عهده الأمين سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز ، بالإخلاص والصدق، والأمانة والمحبة للإسلام والمسلمين ، والتفانى فى خدمة المقدسات وخدمة الحجيج والعمار والزوار .

لقد قدمت المملكة العربية السعودية أقصى ما فى الوسع الإنسانى فى خدمة الحرمين الشريفين وسائر أماكن الشعائر والمناسك ؛ فتم تشجير أرض «عرفات» وقيام الخدمات اللازمة فى أرض «منى » . . . كل هذا خدمة للإسلام والمسلمين .

وفى رأيى أن عمارة الحرمين وبقاع المناسك على هذا النحو من أهم الخدمات التى تقدم للعالم الإسلامى ، فلا توجد على ظهر الأرض بناية أو عمارة لمسجد أو مكان ما مثل هذه العناية والعمارة فى الحرمين ، توسعة وعمارةً وصيانة ونظافة، حتى أصبحت المدينتان المقدستان دُرّتَين فى جبين الأمة الإسلامية .

ونسأل الله تعالى أن يبارك فى هذه الجهود ، وأن يمن على أمتنا الإسلامية بالوحدة والقوة ، وأن يؤيد المسلمين بالنصر ، إنه سميع قريب ، وبالله التوفيق.

أ. د.أحمد عمر هاشم

رئيس جامعة الأزهر

الفصل الأول

الحـــرم المكـــى

مكانة الحرمين الشريفين

الحرم المكى:

للمسجد الحرام مكانته العظيمة فى الإسلام ، فهو أول بيت وضع للناس وهو مقر الأمن ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ [آل عمران: ٩٦ ، ٩٧] .

وقد أشار القرآن الكريم إلى مكانة بيت الله الحرام فى قول الله تعالى : ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ٩٧] .

فقد جعل الله البيت قيامًا للناس يقوم به أمر دينهم بالحج إليه ، وأمر دنياهم حيث أظله بالأمن ، فكان من دخله آمنًا . . . كما جعل سبحانه الأشهر الحرم قيامًا لهم بأمنهم القتال فيها . واستجاب رب العزة سبحانه دعوة إبراهيم عليه السلام بالأمن والرخاء .

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ . وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة : ١٢٥ ، ١٢٦] .

لقد جعل الله البيت مثابة للناس يثوبون إليه ويرجعون إليه من كل جانب، كما جعله فى مأمن من الظلم ومن الإغارات التى تقع فى أى مكان سواه .

لقد كان الرجل يلقى قاتل أبيه فلا يزعجه ولا يهيجه ـ فضلا عن أن يقتله ـ وما ذلك إلا لحرمة البيت . ولمكة المكرمة من الحرمة والعظمة ما يجعل المؤمنين آمنين على عقيدتهم من الفتنة ، وآمنين على دمائهم أن تسفك ، وآمنين على أموالهم أن تنهب، وآمنين على أعراضهم أن تنتهك .

إنها حرم الله الآمن ومن أجل ذلك لا يحل حمل السلاح فيها . عن جابر قال: سمعت النبى ﷺ يقول : « لا يحل لأحدكم أن يحمل بمكة السلاح »[1] .

ولكن ليس معنى هذا أن يترك البغاة دون عقوبة تردعهم، أو أن يفر إليها جان بدم أو ظالم أو قاتل أو معتد على الحرمات وعلى الأمن ثم يلجأ إلى الحرم . . . لا ، فإن الحرم لا يعيذ عاصيًا ولا فارًا بدم . عن أبى شريح العدوى أنه قال لعمرو ابن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة: ائذن لى أيها الأمير أحدثك قولاً قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح سمعته أذناى، ووعاه قلبى، وأبصرته عيناى حين تكلم به أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال : « إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما، ولا يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا له : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن لى فيها ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب » .

فقيل لأبى شريح: ما قال لك عمرو ؟ قال : أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح إن الحرم لا يعيذ عاصيًا ولا فارًا بخربة [2] .

والخربة : تطلق على كل خيانة ، وفى صحيح البخارى أنها البلية ، وقال الخليل : هى الفساد في الدين ، وقيل : هى العيب . وقال الترمذى : ومعنى قوله: « ولا فارًا بخربة » يعنى الجناية .

يقول : من جنى جناية أو أصاب دمًا ثم لجأ إلى الحرم فإنه يقام عليه الحد ،

(١ ، ٢) رواهما مسلم .

ولقد تبرأ رسول الله صلوات الله وسلامه عليه من كل باغ يحمل السلاح على المسلمين، قال رسول الله ﷺ : « من حمل علينا السلاح فليس منا » (١) .

هذا وقد وجه الإسلام أتباعه إلى طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ وطاعة أولى الأمر ، وأمر حين تهب رياح الفتنة أن يلزم المسلمون الجماعة والإمام ، وألا يتفرقوا ، بل عليهم أن يعتصموا بحبل الله جميعا .

قال حذيفة بن اليمان : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى . فقلت : يا رسول الله ، إنا كنا فى جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شر ؟ قال : « نعم » : قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : « نعم وفيه دخن » وهو الحقد ، وقيل : فساد القلب ـ قلت : وما دخنه ؟ قال: « قوم يهدون بغير هدى. تعرف منهم وتنكر» قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال: « نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها » . قلت : يا رسول الله صفهم لنا . قال: «هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ». قلت : فما تأمرنى إن أدركنى ذلك ؟ قال: « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » . قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك » (٢) .

وإذا كان لزوم جماعة المسلمين وإمامهم بهذه المثابة وهو أمر عام فى جميع بلاد الإسلام ، فما بالنا به فى أشرف وأقدس بقعة على ظهر الأرض . . . ما بالنا به في مهبط الوحى ، ومنطلق الرسالة ، ومنزل الملائكة ، وقبلة المسلمين . إن لمكة المكرمة مكانتها التى لا تعادلها مكانة .

قال صلوات الله وسلامه عليه : « والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه البخارى .

الله إلى الله ، ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت » (١) .

وللمدينة المنورة ـ على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ـ وللحرم النبوى الشريف من المكانة والحرمة ما يشير إليه رسولنا ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ حين دعا لأهلها وبين حرمتها، وأن من أحدث فيها فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

عن أنس : أن النبى ﷺ أشرف على المدينة فقال : « اللهم بارك لهم فى مدهم وصاعهم » (٢) .

وللبخارى عنه أن النبى ﷺ قال : « المدينة حرم من كذا إلى كذا ، لا يقطع شجرها ولا يحدث فيها حدث ، من أحدث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ».

ولمسلم : عن عاصم الأحول قال : سألت أنسا : أحَرَّم رسول الله ﷺ المدينة؟ قال: نعم هى حرام ولا يختلى خلاها فمن فعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

وعن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « إن إبراهيم حرم مكة وإنى حرمت المدينة ما بين لابتيها، لا يقطع عضاها ، ولا يصاد صيدها » (٣) .

نعم، إن من أحدث فى الحرم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، وإن جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادًا هو ما حدده القرآن الكريم من العقوبة الرادعة لهم جزاء ما ارتكبوه .

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ دخل مكة عام الفتح وعلى رأسه المغفر ، فلما نزعه جاء رجل فقال : يا رسول الله ، ابن خطل متعلق بأستار

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه والترمذى وصححه.

(٢) رواه البخارى ومسلم.

(٣) رواه مسلم .

الكعبة ، فقال رسول الله ﷺ : «اقتلوه». رواه الأئمة الستة .

قال مالك : قال ابن شهاب : ولم يكن رسول الله ﷺ محرمًا . ولمسلم من حديث جابر : « وعليه عمامة سوداء بغير إحرام ». قال العلماء : إنما قتله لأنه كان قد ارتد عن الإسلام وقتل مسلمًا كان يخدمه، وكان يهجو النبى ﷺ ويسبه، وكانت له قينتان تغنيان بهجاء المسلمين . وقال ابن عبد البر : فهذا القتل قود من دم مسلم.

وكذا قال الخطابى : لم ينفذ له رسول الله ﷺ الأمان وقتله بحق ما جناه فى الإسلام .

وقال النووى : فإن قيل : ففى الحديث الآخر : « من دخل المسجد فهو آمن» فكيف قتله وهو متعلق بالأستار؟

فالجواب : إنه لم يدخل فى الأمان بل استثناه هو وابن أبى سرح والقينتين وأمر بقتله وإن وجد معلقًا بأستار الكعبة .

فإن الله تعالى يقول فى شأن المسجد الحرام : ﴿ **وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [الحج: ٢٥] ونلاحظ أنه لم يعين مفعول الفعل ﴿ **يُرِدْ** ﴾ ليعم وليتناول كل مخالف والمعنى ـ والله أعلم ـ : ومن يرد أى ذنب أو مخالفة للإسلام بسبب الظلم كالإشراك واقتراف الآثام نذقه من عذاب أليم .

وقال العوفى عن ابن عباس : ﴿ **بِظُلْمٍ** ﴾ هو أن تستحل من الحرم ما حرمه الله عليك من إساءة أو قتل فتظلم من لا يظلمك ، وتقتل من لا يقتلك ، فإذا فعل ذلك فقد وجب له العذاب الأليم.

كما وضحت الأية أن من خصوصية الحرم أن يعاقب من يريد فيه الشر إذا كان عازما عليه وإن لم يوقعه، فما بالنا بمن يوقعه . . . ؟

وللحرمين الشريفين مكانتهما فى الإسلام ، وفى القرآن الكريم والسنة النبوية

المطهرة ، وفى النصوص ما يوضح لنا ذلك أتم الوضوح ، فمن الآيات الموضحة لمكانة الحرم المكي. . . قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ . وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ . وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٥ ـ ١٢٩] .

لقد أمر الله تعالى رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن يذكر حين جعل سبحانه الكعبة المعظمة مثابة للناس وأمنا ، يرجع الناس إليها مرة بعد أخرى.

لقد شاء الله تعالى أن يجعل البيت مثابة يثوب الناس جميعًا إليه، وأمنا بحيث يأمنون فيه على أنفسهم ، وأموالهم ، وأعراضهم ، وأودع الله تعالى فى قلوب الناس تعظيم البيت واحترامه.

كما أمر سبحانه أن يتخذ الناس من مقام إبراهيم مصلى، وهو الحجر الذى كان يقوم عليه إبراهيم لبناء الكعبة ، أى أن يصلوا عنده ، روى ابن عمر قال: قال عمر : وافقت ربى فى ثلاث : فى مقام إبراهيم ، وفى الحجاب، وفى أسارى بدر [١] .

وروي أبو داود الطيالسى قال: حدثنا حماد بن سلمة حدثنا على بن زيد عن أنس بن مالك قال : قال عمر : وافقت ربى فى أربع قلت : يا رسول الله ، لو صليت خلف المقام ؟ فنزلت هذه الآية : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾[البقرة:

---

(١) رواه مسلم ، ورواه البخارى عن أنس قال: قال عمر : وافقت الله فى ثلاث أو وافقنى ربى فى ثلاث (الحديث) .

١٢٥] وقلت : يا رسول الله ، لو ضربت على نسائك الحجاب فإنه يدخل عليهن البر والفاجر ؟ فأنزل الله : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ [الأحزاب: ٥٣] ، ونزلت هذه الآية : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ [المؤمنون: ١٢] فلما نزلت قلت أنا : تبارك الله أحسن الخالقين ، فنزلت : ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] ، ودخلت على أزواج النبى ﷺ فقلت : لتنتهن أو ليبدلنه الله بأزواج خير منكن فنزلت الآية : ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ [التحريم: ٥] [1] ، وليس فى هذه الرواية ذكر للأسارى ، فتكون موافقات سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه خمسا .

وأصح الأقوال فى مقام إبراهيم : أنه الحجر الذى يعرفه الناس اليوم والذى يصلون عنده ركعتى الطواف.

وفى حديث جابر الطويل أن النبى ﷺ لما رأى البيت [2] استلم الركن فرمل ثلاثا ومشى أربعا ، ثم تقدم إلى مقام إبراهيم فقرأ :﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة : ١٢٥] فصلى ركعتين قرأ فيهما بـ :﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] و ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ [الكافرون]. . وعهد رب العزة سبحانه وتعالى إلى إبراهيم وإسماعيل أن يقوما بتطهير البيت للطائفين والعاكفين والركع السجود أى للطائفين من الحجاج والمعتمرين ، ولأهله العاكفين فيه ، وللمصلين الركع السجود.

ثم يحدد النص القرآنى الحكيم صفة الأمان للبيت، مؤكدًا دعوة إبراهيم بذلك: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾ [البقرة: ١٢٦] .

والمراد بالبلد مكة المكرمة ، إنه يدعو لمكة المكرمة أن تكون بلدا آمنا وأن يرزق الله أهلها من أنواع الثمرات ، واختص بدعائه المؤمنين: ﴿ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ

---

(١) رواه أبو داود الطيالسى.

(٢) رواه مسلم.

﴿ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ لأن الله تعالى قال له من قبل : ﴿ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٤] فلذلك خص بدعوته المؤمنين دون غيرهم ويأتيه الرد من عدن الله تعالى موضحا شأن الكافرين : ﴿ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ١٢٦] .

ويوضح القرآن الكريم تنفيذ إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ لأمر الله تعالى الذى أمرهما فيه بأن يطهرا البيت للطائفين والعاكفين والركع السجود، وينفذ إبراهيم وإسماعيل أمر الله تعالى فيرفعان القواعد من البيت وهى الأسس ، وفى الحديث: أن البيت لما هدم أخرجت منه حجارة عظام فقال ابن الزيد : هذه القواعد التى رفعها إبراهيم ـ عليه السلام .

أول من بنى البيت الحرام :

واختلف فيمن بنى البيت أولا وأسسه ؟ فقيل : الملائكة ، وقيل : آدم .

أما القول بأن أول من بنى البيت الملائكة، فقد روى عن جعفر بن محمد قال: سئل أبى وأنا حاضر عن بدء خلق البيت ؟ فقال : إن الله عز وجل لما قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ قالت الملائكة : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠] فغضب عليهم ، فعاذوا بعرشه، وطافوا حوله سبعة أشواط يسترضون ربهم حتى رضى عنهم وقال لهم : « ابنوا لى بيتا فى الأرض يتعوذ به من سخطت عليه من بنى آدم، يطوف حوله كما طفتم حول عرشى ، فأرضى عنه كما رضيت عنكم » فبنوا هذا البيت .

وأما القول بأنه آدم، فقد ذكر عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء وابن المسيب وغيرهما: أن الله عز وجل أوحى إلى آدم إذا هبطت ابن لى بيتا، ثم احفف به كما رأيت الملائكة تحف بعرشى الذى فى السماء (١) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعا : « بعث الله جبريل إلى آدم

(١) تفسير القرطبى جـ٢ ص١٢٠ .

فأمره ببناء البيت فبناه آدم ثم أمره بالطواف به وقال له : أنت أول الناس ، وهذا أول بيت وضع للناس» [1] لكن الإمام ابن كثير ضعف هذا الحديث؛ لأنه من مفردات ابن لهيعة ، ولعله موقوف على عبد الله بن عمرو بن العاص .

والأرجح أن مكان البيت كان موجودا ، وأن السابقين من النبيين كانوا يحجون إلى مكانه ومحله وبقعته المعروفة وإن لم يكن هناك بناء.

يقول ابن كثير : « ولم يجىء فى خبر صحيح عن معصوم أن البيت كان مبنيا قبل الخليل ـ عليه السلام ـ ومن تمسك بهذا لقوله : ﴿ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾ [الحج: ٢٦] فليس بناهض ولا ظاهر ، لأن المراد مكانه المقدر فى علم الله، المقرر فى قدرته، المعظم عند الأنبياء موضعه من لدن آدم إلى زمان إبراهيم» [2] .

وهذا الذى قاله ابن كثير لا يتنافى مع ما روى عن ابن عباس قال : حج رسول الله ﷺ فلما أتى وادى عسفان قال : « يا أبا بكر، أى واد هذا ؟ » قال : هذا وادى عسفان قال : « لقد مر بهذا نوح وهود وإبراهيم على بكرات [3] لهم حمر، خطمهم [4] الليف، وأزرهم العباء [5] ، وأرديتهم النّمار [6] يحجون البيت العتيق» [7] .

ولا يتنافى القول بأن إبراهيم أول من بنى البيت ، مع مثل هذا الحديث ؛ لأن المراد بالحديث السابق أنهم كانوا يحجون إلى محله ومكانه المعروف وإن لم

---

(١) رواه البيهقى فى الدلائل جـ١ ص٣١٦.

(٢) البداية والنهاية : جـ ١ ص ١٦٣ .

(٣) البكرات : هى النوق القوية .

(٤) واحده خطام وهى : ما تشد الناقة به .

(٥) أزرهم : جمع إزار : ما يستر الجزء الأسفل من البدن.

(٦) جمع نمرة : الكساء المخطوط .

(٧) رواه أبو يعلى فى مسنده ورواه احمد بإسناد حسن.

يكن قد بنى بعد .

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما كما أورده الإمام البخارى فى صحيحه يجلى الموضوع أكثر:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أول ما اتخذ النساء المنطق [1] من قبل أم إسماعيل ، اتخذت منطقا لتعفى أثرها على سارة .

ثم جاء به إبراهيم بها وبابنها إسماعيل وهى ترضعه حتى وضعها عند البيت ، عند دوحة فوق زمزم فى أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء، فوضعها هنالك، ووضع عندهما جرابا فيه تمر، وسقاء فيه ماء.

ثم قفا [2] إبراهيم منطلقا [3] فتتبعته أم إسماعيل ، فقالت : يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شيء ؟

وقالت له ذلك مرارا ، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له : آلله أمرك بهذا ؟

قال : نعم . فقالت : إذن لا يضيعنا .

ثم رجعت، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ، ورفع يديه : ﴿ **رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ** ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء ،حتى إذا نفد ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى أو قال : يتلبط [4] ، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها ،

---

(١) المنطق : ما يشد به وسط المرأة .
(٢) قفا : أى ولى راجعًا .
(٣) منطلقا : أى راجعا إلى أهله بالشام.
(٤) يتلبط : أى يتمرغ .

فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادى تنظر : هل ترى أحدا ؟ فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادى ـ رفعت طرف درعها ثم سعت سعى الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادى ،ثم أتت المروة فقامت عليها ، ونظرت : هل ترى أحدا؟ فلم تر أحدا، ففعلت ذلك سبع مرات ، ثم قال ابن عباس : قال النبى ﷺ : «فلذلك سعى الناس بينهما ».

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت : صه [١] ، تريد نفسها، ثم تَسَمَّعتْ، فسمعت أيضا فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هى بالملك ـ يعنى جبريل ـ عند موضع زمزم ، فبحث بعقبه ـ أو قال : بجناحه ـ حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه [٢] وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعدما تغرف ، قال ابن عباس : قال النبى ﷺ :« يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم، أو قال : لو لم تغرف من زمزم، لكانت زمزم عينا معينا[٣] ». قال: فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة ، فإن هذا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه . . . وإن الله لا يضيع أهله . . . وكان البيت مرتفعا من الأرض كالرابية ، تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله ، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء [٤] فنزلوا فى أسفل مكة فوجدوا طائرا عائفا [٥] فقالوا :

إن هذا الطائر ليدور على ماء ، لعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء ، فأرسلوا جريّا [٦] أو جريَّين فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا ، قال : وأم

(١) صه : قالت هذه الكلمات تخاطب نفسها .
(٢) تحوضه : أى تجعله بيديها كالحوض .
(٣) معينا : أى يجرى على ظهر الأرض .
(٣) كداء : فى أعلى مكة .
(٥) عائفا : أى يحوم حول الماء.
(٦) جريا : أى رسولا من قبلهم أو وكيلا.

إسماعيل عند الماء .

فقالوا : أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟

قالت : نعم، ولكن لاحق لكم فى الماء (١) . قالوا : نعم .

قال ابن عباس : قال النبى ﷺ : فألفى (٢) ذلك أم إسماعيل وهى تحب الأنس، فنزلوا ، وأرسلوا إلى أهليهم ، فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم، وشب الغلام إسماعيل وتعلم العربية منهم وأنفسهم (٣) وأعجبهم حين شب، فلما أدرك زوجوه امرأة منهم .

وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه ؟ فقالت : خرج يبتغى لنا .

ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم ؟ فقالت: نحن بِشرٍّ، نحن فى ضيق وشدة، فشكت إليه ، قال : فإذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام، وقولى له : يغير عتبة بابه .

فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئا ، فقال : هل جاءكم من أحد ؟ قالت: نعم، جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته ، وسألنى كيف عيشنا ؟ فأخبرته أنا فى جهد وشدة، قال : فهل أوصاك بشىء ؟ قالت : نعم، أمرنى أن أقرأ عليك السلام ، ويقول : غيِّر عتبة بابك .

قال : ذاك أبى ، وقد أمرنى أن أفارقك ، الحقى بأهلك .

فطلقها وتزوج منهم امرأة أخرى .

فلبث إبراهيم ما شاء الله ، ثم أتاهم بعد فلم يجده ، فدخل على امرأته، فسألها عنه ؟ فقالت : خرج يبتغى لنا ، قال : كيف أنتم ؟ وسألها عن عيشهم

---

(١) فى الماء : أى فى امتلاكه، أما الشرب فمباح.

(٢) فألفى : أى وجد .

(٣) وأنفسهم : أى زادت رغبتهم فيه إذ صار نفيسا عندهم.

وهيئتهم ؟ فقالت : نحن بخير وسعة ، وأثنت على الله عز وجل .

فقال : ما طعامكم ؟ قالت : اللحم ، قال : فما شرابكم ؟ قالت : الماء.
قال: اللهم بارك لهم فى اللحم والماء.

قال النبى ﷺ : « ولم يكن يومئذ حب، ولو كان لهم دعا لهم فيه » .

قال: « فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه ».

قال : فإذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام، ومريه يثبت عتبة بابه.

فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد ؟ قالت : نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة، وأثنت عليه ، فسألنى عنك فأخبرته ، فسألنى كيف عيشنا ؟ فأخبرته أنا بخير، قال: فأوصاك بشىء؟ قالت: نعم ،هو يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك.

قال : ذاك أبى وأنت العتبة ، أمرنى أن أمسكك.

ثم لبث عنهم ما شاء الله ، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبرى نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم، فلما رآه قام إليه ، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ، ثم قال :

يا إسماعيل، إن الله أمرني بأمر، قال : فاصنع ما أمرك ربك، قال : وتعيننى ؟ قال: وأعينك، قال: فإن الله أمرنى أن أبنى ها هنا بيتا ، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها .

قال : فعند ذلك رفعا القواعد من البيت ، فجعل إسماعيل يأتى بالحجارة ، وإبراهيم يبنى، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له ، فقام عليه وهو يبنى وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان :

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

قال : فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ

أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

ولما انتهي إبراهيم الخليل - عليه السلام - وابنه إسماعيل - عليه السلام - من بناء البيت جاء جبريل ، وأطلع إبراهيم الخليل على المناسك كلها ، وأمره أن يؤذن فى الناس بالحج .

قال الله تعالى : ﴿ **وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ . وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ . لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ . ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ** ﴾ [الحج : ٢٦ - ٢٩] .

وعندما أمر إبراهيم أن يؤذن فى الناس بالحج قال: يارب، وما يبلغ صوتى.

فقال الله عز وجل : أذن يا إبراهيم وعلىّ البلاغ .

فوقف الخليل على جبل أبى قبيس وصار ينادى : يا أيها الناس، إن الله كتب عليكم الحج فحجوا ، فأسمع من فى أصلاب الرجال وأرحام النساء فأجابه من آمن، ومن كان سبق فى علم الله أنه يحج إلى يوم القيامة : « لبيك اللهم لبيك».

ومن ذلك الحين صار الحج فريضة إلى يوم القيامة .

رعاية الله لمكة وحفظه إيّاها :

من فضل مكة ورعاية الله تعالى لها أن حرسها وجعلها بلدا حراما آمنا ، يأمن فيه الإنسان والحيوان والطير والنبات ، وكيف لا وبها الكعبة المشرفة قبلة المسلمين وبيت رب العالمين، والتى من خصائصها : أن الله تعالى حفظها من كيد الكائدين وعدوان الغادرين ، ومن أرادها بسوء أهلكه الله تعالى ، وحسبنا دلالة على حفظ الله تعالى للكعبة المشرفة والبلد الحرام ما تحدث عنه القرآن الكريم من

قصة الفيل، عندما أراد أبرهة الحبشى أن يهدم الكعبة لما رأى الناس يحجون إليها ويتركون الكنيسة التى بناها بصنعاء ليصرف العرب عن الكعبة .

ولكن أعرابيا عمد إلى كنيسته فأحدث فيها ، فاستشاط غضبا وعزم على هدم الكعبة ، وسار فى جيش ضخم ، وعند مشارف مكة وجدوا إبلا لعبد المطلب بن هاشم فاستاقوها ، فذهب عبد المطلب إليه، وكان وسيما جميلا تعلوه المهابة والوقار، فاستعظمه أبرهة وأكرمه ، فلما كلمه فى الإبل عجب وقال :

أتكلمنى فى الإبل ، ولا تكلمنى فى بيت فيه عزك وشرفك وشرف آبائك؟

فقال عبد المطلب كلمته المشهورة التى صارت مثلا :

أما الإبل فهى لى ، وأما البيت فله رب يحميه .

نعم ، إن للبيت ربا يحميه ويرعاه ويحفظه ويرد عنه كيد الكائدين.

ثم رجع عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة ومعه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه وقال :

لا هُمَّ إن العبــــد يمـــ ـــنع رحله فامنـــع رحالك

وانصر على آل الصليـــ ـــب وعابديه اليـوم آلك

لا يغلبــــن صليبهـــم ومحالهم أبــدًا محــالك

إن كنت تاركهـــم وقبـ ـــلتنا فأمر مـــا بــدا لك

وانطلقوا إلى الجبال لينظروا ماذا سيفعل أبرهة وجيشه وفيله ، فما كان من الفيل عندما وجهوه إلى الطريق المؤدى إلى البلد الحرام إلا وبرك ولا يتحرك . . . وإذا وجهوه إلى غير طريق مكة سار وجرى .

ومع هذه الآية الكبرى الباهرة فقد أصر أبرهة وجيشه على هدم الكعبة .

فأرسل الله عليهم طيرًا أبابيل، أى جماعات، فى منقار كل طائر وبين رجليه

حجارة ترميهم بها ، فكان من أصابه حجر تمزق جسمه ومات، ونكل الله تعالى بأبرهة وجيشه أشد تنكيل .

قال الله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ . وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ . فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [سورة الفيل].

والسجيل : الطين المحروق بالنار ، ومعنى ﴿ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ : كهشيم الزرع بعد ما يؤخذ منه الحب كالقمح مثلا .

وقال رسول الله ﷺ : « إن الله حبس عن مكة الفيل ، وسلط عليها رسوله والمؤمنين » [1] .

ولقد كانت حادثة الفيل هذه إرهاصا بين يدى ميلاد رسول الله ﷺ ، ودلالة على يمن مولده وبركته على مكة ، وعلى الدنيا بأسرها.

(١) رواه البخارى ومسلم .

أسماء البلد الحرام

* من أسماء البلد الحرام : « مكة » ؛ لأنها تمك الجبارين، أى تذهب نخوتهم، وقيل : لأنها تمك الفاجر عنها أى تخرجه .

* ومن أسمائها : « بكة » قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران:٩٦] وسميت بذلك ؛ لأنها تبك أعناق الجبابرة ، أى تدقها إذا ألحدوا فيها.

* ومن أسمائها: « أم القرى » قال تعالى : ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ ﴾ [الأنعام:٩٢] وسميت بذلك لأنها أعظم القرى ، وقيل : لأن الأرض دحيت من تحتها ، وقيل: لأنها قبلة تؤمها جميع الأمم .

* ومن أسمائها : « القرية » قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً ﴾ [النحل:١١٢] .

* ومن أسمائها : « البلدة الأمين » قال الله تعالى : ﴿ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ [التين:٣].

* ومن أسمائها : « البلدة » قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ﴾ [النمل: ٩١] .

* ومن أسمائها : « معاد » بفتح الميم قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ

﴿الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص : ٨٥] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إلى مكة .

وهذه الأسماء مأخوذة من القرآن ، وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى ؛ لأن البيت الحرام هو بيت الله تعالى، حفظه رب العزة وجعله أمْنا، فمن دخله كان آمنا.

لمكة المكرمة حرمتها ، إنها البلد الحرام الذي لم يحل القتال فيه لأحد ، ولم يحل لرسول ﷺ إلا ساعة من نهار .

وكما حرم القتال فيه ، حرم صيد الطير ، وقطع الشجر ، بل حرم تنفير الطير وقطع الشوك ، وقطع الحشيش والتقاط اللقطة إلا لمنشد.

والسبب فى ذلك : هو تعظيم الحرم ،و قيل : لأن الحمام من نسل الحمامتين اللتين ركزتا فى فم الغار فلذلك احترم حمام الحرم، كما ذكره السهيلى نقلاً عن مسند البزار .

كما يحرم قطع شجر الحرم وحشيشه على من كان محرمًا أو غير محرم لحديث: « ولا يعضد شجرها » .

وتحريم القتل فيها لحديث : « إنها لم تحل لى إلا ساعة من نهار ».

وفى هذه الأحكام السابقة وغيرها نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى حرم مكة ، بل إن حرمتها منذ القدم كما جاء فى الحديث .

« إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وأنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلى ، ولم يحل لى إلا ساعة من نهار ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكه ، ولا ينفر صيده ، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ،ولا يختلى خلاها » [١] .

---

(١) رواه مسلم .

وإذا ما تبين لنا حرمة مكة ، وكيف أن الله تعالى جعلها بلدًا آمنا، حتى أمّن الطير والشوك والنبات والحشيش والشجر ـ دلّ هذا على تأكيد حرمتها ومنزلتها، وأن من يحدث فيها يؤاخذه الله تعالى ، ومن أرادها أو أراد المدينة بسوء أخذه الله تعالى في الدنيا قبل الآخرة كما حدث لأصحاب الفيل.

الفصل الثانى

حُرمة المدينة
وفَضل الحَرم النبَوى



حرمة المدينة

وللمدينة مكانتها وفضلها ، وللصلاة فى المسجد النبوى منزلتها ،حيث جعلها الله تعالى بألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وفى المسجد النبوى (الروضة الشريفة) التى قال فيها رسول الله ﷺ :

« ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة » [1] .

وفى الرواية الأخرى : « ومنبرى على حوضى » .

وإذا كان المسجد النبوى بصفة عامة له فضله، فإن للروضة الشريفة مكانة عظيمة تزيد على غيرها لأنها من رياض الجنة ، وقد ذكر العلماء فى المراد بقوله ﷺ : « ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة » ثلاثة آراء :

الأول : إن ذلك الموضع بعينه ينقل إلى الجنة .

الثانى : إن العبادة فيه تؤدى إلى الجنة .

الثالث : إنه كرياض الجنة فى نزول الرحمات وحصول السعادة بما يحصل من ملازمة الذكر والعبادة .

وفى المدينة المنورة مسجد قباء ، وله فى الإسلام مكانته .

وقد عرف السلف الصالح له هذه المكانة فأحبوه ورغبوا فى زيارته والصلاة

---

(١) رواه مسلم .

فيه اقتداء برسولهم ﷺ. عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان يزور قباء راكبًا وماشيا [1] .

وفى شأن حرمة المدينة المنورة وفضلها قال ـ عليه الصلاة والسلام :

« إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها، وإنى حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، وإنى دعوت فى صاعها ومدها بمثلى ما دعا به إبراهيم لأهل مكة » [2] .

ولم تقتصر دعوة رسول الله ﷺ لأهل المدينة بالبركة فى صاعهم ومدهم فحسب، بل إنه قال : « اللهم اجعل المدينة ضعفى ما جعلت بمكة من البركة ».

وفى تحريم المدينة وفضلها وردت أحاديث كثيرة :

« ما بين لابتيها لا يقطع عضاها ولا يصاد صيدها » [3] .

واللابة : هى الأرض المليئة بالحجارة السوداء.

وقال ـ عليه الصلاة والسلام : «إنى أحرم ما بين لابتى المدينة أن يقطع عضاها أو يقتل صيدها » [4] .

وقال : « المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه ، ولا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلا كنت له شفيعا أو شهيدًا يوم القيامة ».

وقال ـ عليه الصلاة والسلام :

« المدينة حرم ، فمن أحدث فيها حدثا أو أوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة عدل ولا صرف ».

والصرف : الفرض ، والعدلُ : النافلة ، وقيل : الصرف : التوبة ، والعدل: القربة ، أو الصرف : الحيلة ، والعدل : المثل .

وأن من يرغب عن المدينة المنورة أو يتركها كارهًا لها لا يخرج عن كونه أحد

(١ ـ ٤) رواها مسلم .

رجلين: إما أن يكون كافرا وإما أن يكون جاهلا ، فإن كان كافرا فليس لها المقام بتلك البقعة المباركة ، وإن كان جاهلا فهو لا يدرك فضل المقام فيها ، وهذا هو المراد بقوله ﷺ : « يأتى على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم إلى الرخاء ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، والذى نفسى بيده، لا يخرج منهم أحد رغبة إلا أخلف الله فيها خيرا منه ألا إن المدينة كالكير ، تخرج الخبيث ، ولا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها كما ينفى الكير خبث الحديد » (١) .

وتوعد الرسول ﷺ من أراد أهل المدينة بسوء فى قوله : « من أراد أهل هذه البلدة بسوء - يعنى المدينة - أذابه الله كما يذوب الملح فى الماء » (٢) .

وقال - عليه الصلاة والسلام : « لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح فى الماء » (٣) .

فمن حاول أن يكيد لأهلها أو أن يخيفهم انتقم الله تعالى منه .

قال - عليه الصلاة والسلام : « من أخاف أهل المدينة ظالما لهم أخافه الله، وكانت عليه لعنة الله » (٤) .

فأولى بالمسلمين قاطبة ، وأولى بجميع من فى الأرض أن يعرفوا للحرمين مكانتهما ومنزلتهما ، وأن يقف المؤمنون على خدمتهما وتقديرهما كما أراد الله تعالى.

وأن يتعاونوا مع كل من يعمل على خدمتهما وعمارتهما وحمايتهما من عبث العابثين ، وكذلك أن يسألوا الله التمكين والتوفيق لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود وكل من له جهد فى خدمة حجاج بين الله الحرام وزواره .

(١- ٣) رواها مسلم.

(٤) رواه النسائى .

أسماء المدينة

للمدينة أسماء كثيرة ، وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، فمن أسمائها:

١ ــ المدينة .	٢ ــ طابة .
٣ ــ طيبة .	٤ ــ المطيبة.
٥ ــ المسكينة .	٦ ــ الدار .
٧ ــ جابرة .	٨ ــ مجبورة .
٩ ــ منيرة .	١٠ ــ يثرب .

وقد وردت أحاديث ببعض أسمائها، منها ما جاء عن أبى حميد الساعدى ﷺ: أقبلنا مع النبى ﷺ من تبوك حتى أشرفنا على المدينة ، فقال : « هذه طابة» [١] ، فهذا الحديث يفيد أن من أسمائها « طابة » ، وجاء فى بعض طرق الحديث « طيبة » .

وفى بعض الأحاديث ما يفيد أن هذا الاسم هو من تسمية الله سبحانه وتعالى لها ، فقد ورد من حديث جابر بن سمرة مرفوعا : « إن الله سمى المدينة طابة » [٢] ، وجاء فى بعض الأحاديث أن الرسول ﷺ هو الذى أسماها «طابة»، فقد جاء فى الحديث عن شعبة عن سماك : « كانوا يسمون المدينة يثرب

(١) رواه البخارى .
(٢) رواه مسلم .

فسماها النبى ﷺ طابة »[1] . وهذا الاسم مشتق من الطيب، وقيل: لطهارة تربتها ، وقيل: لطيبها لساكنيها،وقيل: لطيب العيش بها وفيما ورد من أسمائها من رواية زيد بن أسلم قال : قال النبى ﷺ : « للمدينة عشرة أسماء : هى المدينة ، وطابة وطيبة ، والمطيبة ، والمسكينة ، والدار ، وجابرة ، ومجبورة ، ومنيرة ، ويثرب»[2] .

وورد من أسمائها أيضًا : « المحببة » ، و « المحبوبة » . وورد من حديث عبد الله بن جعفر قال : سمى الله المدينة الدار والإيمان .

ومـــن طريـــق عـــبد العزيـــز الدراوردى قـــال : « بلغنى أن لها أربعين اسما » [3] .

وكلها أسماء تحمل دلائل واضحة على مكانة المدينة وشرفها ومنزلتها الكريمة.

كما تدل على منزلة أهلها الذين تبوؤوا الدار والإيمان ، واستقبلوا إخوانهم المهاجرين بإيثار يجل عن النظير ، حتى استحقوا أن يسجل الله سبحانه وتعالى مآثرهم فى القرآن الكريم ، حيث يقو جل شأنه :

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩] .

(١) رواه أبو داود الطيالسى فى مسنده وأبو عوانة .
(٢) رواه عمر بن شبة فى أخبار المدينة .
(٣) فتح البارى .

من خصائص المدينة

من خصائص المدينة ، أن الإيمان ينضم ويتجمع فيها ، وكل نفس تهفو إليها، وتحبها لمحبة ساكنها عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، ويأتيها الناس من كل فج عميق، فى حياة الرسول ﷺ ، وفيما بعده . .

أما فى حياته ﷺ فيأتى المؤمنون المدينة ليتعلموا منه وليأخذوا عنه .

وأما بعد أن لحق بالرفيق الأعلى ، فلزيارة قبره والسلام عليه ، فللصلاة فى مسجده ﷺ .

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن الإيمان ليأرِز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها »(١) .

ومعنى « ليأرز » : لينضم ويجتمع ، أى أن الحية تخرج من جحرها منتشرة فى طلب ما تعيش به ، فإذا صادفها ما يخيفها تعود إلى جحرها الذى كانت فيه ، والذى خرجت منه ، وكذلك حال الإيمان والمؤمنين ، حيث انتشر الإيمان من المدينة ثم تهفو النفوس للعودة إليها ، لمحبتها فى زمن الرسول ﷺ للتعلم منه ، وفى زمن الصحابة للاقتداء بهم رضي الله عنهم أجمعين ، ثم بعد ذلك لزيارة المسجد النبوى الشريف الذى تعدل الصلاة فيه ألف صلاة فيما سواه.

عن أبى هريرة رضي الله عنه ، يبلغ به النبى ﷺ قال : « صلاة فى مسجدى هذا

---

(١) رواه البخارى .

أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » (١) .

وقد اتفق العلماء أن مكة والمدينة أفضل بقاع الأرض ، ولكنهم اختلفوا في أيهما أفضل مكة أم المدينة؟ وذلك فيما عدا موضع قبر الرسول ﷺ .

فقال عمر وبعض الصحابة ومالك وأكثر المدنيين : « المدينة أفضل » .

وقال أهل مكة والكوفة والشافعى وابن وهب وابن حبيب: « مكة أفضل ».

ومما احتج به القائلون بأفضلية مكة : حديث عبد الله بن عدى بن الحمراء رضي الله عنه أنه سمع النبى ﷺ وهو واقف على راحلته بمكة يقول: «والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت»(٢).

وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة فى مسجدى » (٣) .

وأما المراد بالاستثناء فى قوله : « إلا المسجد الحرام » فقال ابن بطال : يجوز فى هذا الاستثناء أن يكون المراد أنه مساو لمسجد المدينة أو أنه فاضل أو مفضول. . وكأنه بهذا الرأى نظر إلى ظاهر حديث : « صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » ، وأنه لم يقف على الحديث الآخر الذى ينص على زيادة الأجر فى المسجد الحرام « . . . وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فى هذا » .

ومذهب الشافعى وجماهير العلماء: أن مكة أفضل من المدينة ، وأن مسجد مكة أفضل من مسجد المدينة ، وقال مالك وطائفة بالعكس .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه الترمذى والنسائى، وقال الترمذى : حسن صحيح .

(٣) رواه أحمد والبيهقى وغيرهما بإسناد حسن .

ولا يختص هذا التفضيل بالصلاة فى المسجد بالفريضة ، بل يعم الفرض والنفل جميعا .

وقال الطحاوى : يختص بالفرض ، ولكن هذا يخالف إطلاق الأحاديث الصحيحة .

ومما ينبغى الإشارة إليه أن هذا التفضيل لا يتعدى إلى الإجزاء عن الفوائت، فلو كان عليه صلاتان فصلى فى مسجد المدينة صلاة لا تغنى عما فات بل يجب عليه القضاء ، وكذلك الحال بالنسبة للصلاة فى المسجد الحرام .

فمضاعفة الثواب فى المسجد الحرام والمسجد النبوى من جهة الكيف لا من جهة الكم ، فلا يزعم أحد عليه صلوات قد فاتته أنه حين يصلى فى أحد المسجدين بعض الصلاة تغنيه عما فاته .

حب الرسول ﷺ المدينة ودعاؤه لها

كان رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يحب المدينة حبًا جمًا ، فقد استقبلته واستقبلت أصحابه بصدر رحب ، وإيمان صادق ، وحب لله ولرسوله .

عن أنس رضي الله عنه : أن النبى ﷺ كان إذا قدم من سفر فنظر إلى جدرات المدينة أوضع راحلته [1] ، وإن كان على دابة حركها من حبها [2] .

ولهذا الحب الشديد لها كان يدعو لها بالبركة ، فعن أنس رضي الله عنه ، عن النبى ﷺ قال: «اللهم اجعل بالمدينة ضعفى ما جعلت بمكة من البركة » [3] .

والمقصود بها البركة الدنيوية كما فى حديث آخر : « اللهم بارك فى صاعنا ومدنا» كما تشمل البركة فى أمور الدين ؛ لأنها بمعنى الزيادة .

ويستثنى من ذلك ما خرج بدليل مثل مضاعفة الثواب للصلاة بالمسجد الحرام بمكة المكرمة .

وقال الإمام النووى ـ رحمه الله تعالى : الظاهر أن البركة حصلت فى نفس المكيل بحيث يكفى المد فيها من لا يكفيه فى غيرها ، وهذا أمر محسوس عند من سكنها.

---

(١) أوْضَعَ راحلته : أى حملها على سرعة السير .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه البخارى .

وقال القرطبى : إذا وجدت البركة فيها فى وقت حصلت إجابة الدعوة ، ولا يستلزم دوامها فى كل حين ولكل شخص .

كما دعا الرسول ﷺ ربه - ودعاؤه لا يرد - أن يحبب المدينة له ولأصحابه، وأن يبارك فى صاعها ومدها ، وأن يصححها وأن ينقل حماها إلى الجحفة ، حيث كانت حين قدومه أوبأ الأرض ، وبدعائه ﷺ صححها الله وبارك فى طعامها ومكيالها .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، وعك أبو بكر وبلال، وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول :

كُلُّ امرئٍ مُصَبَّح فى أهله والموتُ أدْنَى مِنْ شِراك نَعْلِه

وكان بلال يقول إذا أقلع عنه الحمى يرفع عقيرته يقول :

ألا ليتَ شعْرِى هَـلْ أبيتَنَّ ليلةً بِوَادٍ وحولى إذْخَر وجَلِيــلُ

وهَــلْ أردَنْ يومًا مِيــاه مجنَّةٍ وهَلْ يَبْدُوَن لى شَامَة وطَفِيلُ

وقال : اللهم العن شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف ، كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء.

ثم قال رسول الله ﷺ : « اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد .

اللهم بارك لنا فى صاعـنا وفى مدنا ، وصححها لنا ، وانقل حماها إلى الجحفة» (١) .

---

(١) رواه البخارى .

فضل سكنى المدينة

للمدينة فضلها فى الإسلام ، ولها مكانتها فى نفوس المسلمين.

وقد بشر الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ الصابرين على الشدة فيها ، ووعدهم بأنه سيكون لهم يوم القيامة شفيعًا .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من صبر على لأوائها وشدتها كنت له شهيدًا أو شفيعًا يوم القيامة » [1] يعنى المدينة، و«أو» فى قوله ﷺ : « كنت له شفيعًا أو شهيدًا » قيل : إنها للشك ، وقال النووى : الأظهر عندنا أنها ليست للشك ، وإنما للتقسيم ، وعلى هذا يكون شهيدًا لبعض أهل المدينة وشفيعًا لبقيتهم .. وقيل : هذه خصوصية زائدة على الشفاعة للمذنبين أو للعاملين ، وعلى شهادته على جميع الأمة . وقد تكون «أو» بمعنى الواو فيكون لأهل المدينة شفيعا وشهيدًا . وهذا كله إذا لم تكن « أو » للشك، أما إذا كانت للشك ، فمعنى الحديث أن الرسول ﷺ يكون لهم شهيدًا أو يكون شفيعًا ، أى أن الذى سيحصل هو أحد الشيئين إما الشهادة ، وإما الطاعة ، وتحديد أحدهما متوقف على معرفة أى اللفظين أصح ؟ فإذا كانت اللفظة الصحيحة « شهيدًا » فلا يكون هناك اعتراض ، ولا يقال : لم خص أهل المدينة بالشفاعة مع كونها عامة ومدخرة للأمة يوم القيامة ؟ لا يعترض بمثل هذا لأن الشهادة حينئذ تكون زائدة على تلك الشفاعة المدخرة ، وأما إذا كانت اللفظة الصحيحة «شفيعًا » فكيف يكون اختصاص أهل المدينة بالشفاعة مع كونها عامة ؟

---

(١) رواه مسلم .

والجواب : أن هذه شفاعة أخرى غير الشفاعة العامة التى تكون لإخراج الناس من النار ومعافاة بعضهم منها بشفاعة الرسول ﷺ فى يوم القيامة .. وأما هذه الشفاعة المذكورة لأهل المدينة فتكون لزيادة الدرجات أو تخفيف الحساب ومغفرة السيئات ، أو بإكرامهم يوم القيامة بأنواع من الكرامة كإيوائهم إلى ظل العرش أو كونهم على منابر ، أو الإسراع بهم إلى الجنة أو غير ذلك من الكرامات الواردة لبعضهم دون بعض .

ولسكنى المدينة على هذا فضل عظيم ومكانة طيبة للصابرين على شدتها وضيق العيش فيها ، وليس هذا الفضل قاصرًا على أول الزمن، وإنما هو ثابت للمدينة المنورة وباق ومستمر إلى يوم القيامة .

وفى سكنى المدينة ومكة فضل عظيم ، وثواب مضاعف لمضاعفة الأجر على الصلاة والعبادة ، وعلى هذا فتكون المجاورة مستحبة إلا أن يغلب على الظن الوقوع فى المحظورات وغيرها.

واختلف العلماء فى المجاورة بمكة والمدينة، فقال أبو حنيفة وطائفة : تكره المجاورة بمكة . وقال أحمد بن حنبل وطائفة : لا تكره المجاورة بمكة بل تستحب.

وإنما كرهها من كرهها لأمور منها :

خوف الملل ، وقلة الحرمة للأنس ، وخوف ملابسة الذنوب ، فإن الذنب فيها أقبح منه فى غيرها ، كما أن الحسنة فيها أعظم منها فى غيرها.

واستدل من استحب المجاورة فيها بما يحصل فيها من الطاعات التى لا تحصل فى غيرها ، ومضاعفة الصلوات والحسنات وغير ذلك .

والذى نختاره هو استحباب سكنى مكة والمدينة المنورة ، إلا إذا غلب على الظن الوقوع فى المحظورات .

قال الإمام النووى : وقد جاورتهما خلائق لا يحصون من سلف الأمة

وخلفها ممن يقتدى به ، وينبغى للمجاور الاحتراز من المحظورات وأسبابها ، وقد صان الله سبحانه وتعالى المدينة المنورة من الطاعون ومن الدجال كما جاء فى الحديث : « على أنقاب المدينة ملائكة، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال » [1] .

---

(1) رواه مسلم.

المدينة تنفى خبثها

لقد اختار الله سبحانه وتعالى المدينة لرسوله الكريم ، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وجعل هجرته المباركة إليها ، تلك الهجرة التى كانت فاتحة الخير للإسلام والمسلمين ، وأشرق النصر للمؤمنين فيها ، وأظهر الله سبحانه وتعالى بها دينه .

وشرعت فيها معظم فرائض الإسلام ، وأهلها هم الذين آووا ونصروا ، واستقبلوا الإسلام وبنى الإسلام والمهاجرين بكرم وإخلاص، وحب وإيثار ، فآثر الأنصار إخوانهم المهاجرين ، فاستحقوا أن ينزل فيهم قرآن يتلى إلى قيام الساعة: **﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** [الحشر: ٩] .

وقد وضح الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أن من يرغب عن المدينة ويخرج منها يخلف الله تعالى فيها من هو خير منه .

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يأتى على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم إلى الرخاء ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، والذى نفسى بيده لا يخرج منهم أحد رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيرا منه ألا إن المدينة كالكير تخرج الخبيث ، لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها كما ينفى الكير خبث الحديد» (١) .

---

(١) رواه مسلم .

وهذا الحديث من معجزات رسول الله ﷺ؛ لأنه أخبر عن أمر غير موجود ، بل إنه غائب عنه ولم يحدث من قبل ، وقد حدث ووقع ما أخبر به رسول الله ﷺ ؛ إذ أن مراده أن الأمصار ستفتح ويكثر الخير ، كما حدث من فتح بعض الأمصار ، فركن إليها بعض الناس ورغبوا فيها ، لما فيها من سعة العيش والخصب، واتخذوها بلادًا لهم ، ويدعو كل منهم من كان بالمدينة من قريب له أو ابن عم . . فمباهج الحياة الدنيا ومغرياتها وزينتها وخصبها تخدع الناس وتشد قلوبهم ويرغبون فى الخروج من المدينة إلى تلك البلاد ، ابتغاء الحياة الدنيا وزينتها، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون .

وإنما كانت المدينة خيرًا لهم ؛ لأن الخير الحقيقى النافع المستمر إنما هو فيما يتصل بأمر الدين ، وبشؤون الحياة الأخرى ، فهى الباقية والمستمرة وهى التى يترتب عليها السعادة الحقة الدائمة التى لا زوال فيها ولا انتهاء .

أما ما يميل إليه الناس من مباهج الدنيا وزينتها فهى إلى زوال ، والدنيا كلها إلى فناء ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابًا وخير أملا .

إن فى الترفيه والمغريات بعدًا عن الطاعة والعبادة ، ولذا فإن المدينة خير ؛ لأن الترفيه يتعذر فيها ، وعلى ذلك فإن الإقبال على الدنيا وعلى زينتها والانشغال بها متحقق، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن الإقامة بالمدينة إقامة فى بقعة من أشرف البقاع .

والذى يخرج من المدينة رغبة عنها أو كراهية لها لا يخرج عن كونه أحد رجلين : إما أن يكون كافرًا ، وإما أن يكون جاهلاً ، فإن كان كافرًا فليس له مقام بتلك البقعة الطاهرة ، ولا بهذا الجوار الطاهر ، فخروجه أفضل ، ومن أقام بدله من المسلمين لا شك أنه خير منه .

وإن كان جاهلا فهو لا يدرك فضل المقام فى تلك البقعة المشرفة المباركة ، ولا مضاعفة الثواب الأخروى فيها ، ولا مضاعفة البركة ، ولا شك أن من أقام بدل هذا ممن يعلم قيمة المدينة ومكانتها وحرمتها ، ويقدرها حق قدرها خير من هذا وذاك.

ـ وهذا هو المراد بقوله ﷺ : « لا يخرج منهم أحد رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيرًا منه » ، وأما من خرج منها لا لجهل ولا لكفر ، ولم يكن راغبًا عنها بل كان راغبًا فيها ، وإنما الذى دفعه إلى الخروج مصلحة دينية فلا يدخل مثل هذا فى قوله : « إلا أخلف الله فيها خيرًا منه » وذلك لأن الخروج هنا ليس رغبة عنها ، وإنما هو لسبب دينى ومصلحة دينية ، كمن خرج من الصحابة مثلاً للتعلم والتعليم أو لنشر الدعوة أو نحو ذلك .

وفى قول الرسول ﷺ : « ألا إن المدينة كالكير تخرج الخبيث ، لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها كما ينفى الكير خبث الحديد » بيان لمن أراد الله له الإقامة فى أرض الطهر والبركة ، ومن لم يرد الله إقامته فيها ، ومعنى « خبث الحديد » وسخه وقذره الذى تخرجه النار .

وفى المراد بنفى المدينة خبثها وشرارها آراء للعلماء:

قال بعضهم : الأظهر أن هذا مختص بزمن النبى ﷺ ؛ لأنه لم يكن يصبر على الهجرة والمقام معه إلا من ثبت إيمانه، وأما المنافقون وجهلة الأعراب فلا يصبرون على شدة المدينة ، ولا يحتسبون الأجر فى ذلك كما قال ذلك الأعرابى الذى أصابه الوعك : «أقلنى بيعتى » .

وقال الإمام النووى ـ رحمه الله تعالى : وهذا الذى ادّعى أنه الأظهر ليس بالأظهر ؛ لأن هذا الحديث الأول فى صحيح مسلم أنه ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها كما ينفى الكير خبث الحديد » وهذا ـ والله

أعلم - فى زمن الدجال ، كما جاء فى الحديث عن الدجال : « أنه يقصد المدينة فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج الله بها منها كل كافر ومنافق »، فيحتمل أنه مختص بزمن الدجال ، ويحتمل أنه فى أزمنة متفرقة (١) .

والأظهر أن النفى يكون عاما فى زمن الرسول ﷺ وفى غيره من الأزمنة الأخرى ؛ لأن هذا هو الأليق بتلك البقعة المطهرة المباركة .

وقد يعترض على أن المدينة تنفى شرارها وخبثها بمن كان قد استقر بها من المنافقين ؟ ويجاب على ذلك بأنهم قد انتفوا من المدينة بالموت ، والموت أكبر نفى وأشده ؛ لأنه لا حياة بعده فى الدنيا ولا رجوع لهم إلى المدينة ولا إلى غيرها .

وقد يعترض كذلك بمن استقر فى المدينة من الروافض ونحوهم ؟ ويجاب على هذا بأن النفى إن كان خاصا بزمن النبى ﷺ - كما يرى القاضى - فالجواب واضح ، وهو أن زمان نفيها قد انتهى ، وأما إن كان عامًا فيحتمل أن المراد بنفى الخبيث إخماد بدعة من سكنها من المبتدعة وعدم ظهوره .

وفى فضل المدينة ومكانتها ما جاء عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « أُمرتُ بقرية تأكل القرى ، يقولون يثرب وهى المدينة ، تنفى الناس كما ينفى الكير خبيث الحديد » (٢) .

أى أنه أمر بالهجرة إليها وباستيطانها واتخاذها وطنا له .

والمراد بأكلها للقرى أنها مركز جيوش الإسلام فى أول الأمر ، فمنها فتحت القرى وغنمت أموالها وسباياها ، أو أن أكلها وميرتها تكون من القرى المفتتحة ، وإليها تساق غنائمها.

وبعض المنافقين يسمونها « يثرب » وإنما اسمها المدينة ويكره تسميتها يثرب، وحكى عن عيسى بن دينار أنه قال : من سماها « يثرب » كتبت عليه خطيئة ،

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم .

(٢) رواه مسلم.

لأن معنى التثريب الملامة والتوبيخ ولذا كره هذا الاسم ، وإنما جاء لفظ يثرب فى القرآن حكاية عن قول المنافقين والذين فى قلوبهم مرض.

وفى حديث الأعرابى قال ﷺ : « إنما المدينة كالكير تنفى خبثها وينصع طيبها» أى يصفو ويخلص ، والمعنى أنه يخرج منها من لم يخلص إيمانه ويبقى فيها من خلص إيمانه .

* * *

تحريم إرادة أهل المدينة بسوء

لقد صان الله سبحانه وتعالى دار الهجرة المباركة وموطن رسوله وحبيبه صلوات الله وسلامه عليه، وهى المدينة المنورة ، التى استقبلت الرسول، صلوات الله وسلامه عليه، وأصحابه ودعوته خير استقبال فآواه أهلها ونصروه.

صان الله المدينة ،وحرم إرادة أهلها بسوء، ومجرد العزم على السوء يجازى الله عليه فى الدنيا والآخرة . كما حرم سبحانه وتعالى إرادة المعصية فى حرم مكة، وأنه يحاسب عليها ، قال سبحانه : ﴿ **وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [الحج: ٢٥] .

وحرم المدينة فمن أرادها بسوء أذابه الله كما يذوب الملح فى الماء . قال رسول الله ﷺ : « من أراد أهل هذه البلدة بسوء ـ يعنى المدينة ـ أذابه الله كما يذوب الملح فى الماء» [١] . وفى حديث سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه عن أبيه بلفظ: « ولا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله فى النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح فى الماء » وهذا الوعيد لمن أراد المدينة عازمًا على غزوها والإغارة عليها .

وقد يكون المراد بهذا من أرادها فى حياة الرسول ﷺ كُفى المسلمون أمره واضمحل كيده كما يضمحل الرصاص فى النار.

وقد يكون فى اللفظ تأخير وتقديم ، أى أذابه الله ذوب الرصاص فى النار يكون ذلك لمن أرادها فى الدنيا فلا يمهله الله ، ولا يمكن له السلطان بل يذهب

---

(١) رواه مسلم .

الله سلطانه سريعا فى الدنيا ، كما انقضى شأن من حارب أيام بنى أمية مثل مسلم ابن عقبة فإنه هلك فى منصرفه عنها ، ثم هلك يزيد بن معاوية إثر بعثه إليها مسلما المذكور وغيرهما ممن صنع صنيعهما .

وقيل : قد يكون المراد بهذا من كادها اغتيالاً وطلبا لغرتها فى غفلة ، فلا يتم له أمره ، بخلاف من أتى ذلك جهارا ، كأمراء استباحوها . وقال ﷺ : «من أخاف أهل المدينة ظالمًا لهم أخافه الله ، وكانت عليه لعنة الله »[1] والخوف يشمل جميع الصور سواء كان غزوًا أو حربًا أو كان ترويعًا لأهلها ، أو كان إرهابًا لهم أو تعنيفًا ، فإنه تحل عليه لعنة الله؛ لأنها مثوى رسول الله ﷺ وحرمه، ولها مكانتها عند الله رب العالمين .

وعلى كل حال ، فإن لله سننا بعضها استدراج وإمهال ، فقد يمهل الله ـ لوقت وجيز جدًا بعض الظالمين ، ممن يروعون المدينة وأهلها ، لكنه ـ سبحانه وتعالى ـ سرعان ما يقضى عليهم ، وينتقم منهم ، ويُخرج أهل المدينة من بين أنيابهم ومخالبهم سالمين . . . وتدور الدائرة ـ عاجلاً ـ على الظالمين ، حتى وإن غرتهم الأمانى ، وظنوا أنهم ذوو قوة لا تقهر فيأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر من حيث لا ينتظرون .

---

(١) رواه النسائى .

الروضـــة الشريفـــة

الروضة الشريفة هى التى تقع بين بيت رسول الله ﷺ ومنبره ولها فضلها ومكانتها ؛ لأنها من رياض الجنة ، كما قال رسول الله ﷺ : «ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة » [1] وفى رواية أخرى عند مسلم أيضًا : «ومنبرى على حوضى» وقد ورد هذا الحديث بلفظ.

«ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة » ولكن الرواية الصحيحة هى : «ما بين بيتى » ؛ لأن الرسول ﷺ قال ذلك قبل وجود القبر ، قاله والمكان بيت له ، ثم صار بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى قبره الشريف ، فالرواية التى جاءت بلفظ القبر رواية بالمعنى.

وقد ذكر العلماء فى المراد بقوله ﷺ: «ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة » آراء سبق ذكرها ، وهى أن ذلك الموضع بعينه ينقل إلى الجنة ، أو أن العبادة فيه تؤدى إلى الجنة، أو أنه كرياض الجنة فى نزول الرحمات . . . وهذا هو الأرجح الذى نميل إليه .

وفى هذا الحديث إيضاح لمكانة الروضة الشريفة ، وأهمية العبادة فيها ، والطاعة والدعاء . والمراد بالبيت : هو بيت السيدة عائشة رضي الله عنها وهو الذى صار فيه القبر ، وقد جاء الحديث بلفظ : « ما بين المنبر وبيت عائشة روضة من رياض الجنة » [2] .

ومعنى : « ومنبرى على حوضى » : أى ينقل يوم القيامة فينصب على

---

(١) رواه مسلم .

(٢) أخرجه الطبرانى فى الأوسط .

الحوض ، وقال الأكثرون : المراد منبره بعينه ، الذى قال هذه المقالة وهو فوقه، وقيل : المراد المنبر الذى يوضع له يوم القيامة والأول أظهر.

وقيل : معناه أن قصد منبره ، والحضور عنده لملازمة الأعمال الصالحة يورد صاحبه إلى الحوض ، ويقتضى شربه إن شاء الله تعالى يوم لا ظل إلا ظل عرشه.

عمارة الحرمين الشريفين وتوسعتهما

عمارة المسجد الحرام وتوسعته (1)

ـ كان طبيعيا من وجهتى النظر النقلية والعقلية أن يهتم المسلمون عبر تاريخهم كله بالمسجد الحرام ، عمارةً وترميمًا وتوسعةً وتزيينًا . . . إلى غير ذلك من صور الاهتمام والتجميل لهذا البيت العتيق، الذى يشرُف بنسبته العظيمة الطاهرة (بيت الله الحرام) . . . هذه النسبة التى تجعل له مكانة عميقة فى الوجدان الإسلامى.

ـ ونظرًا لأن الله سبحانه وتعالى جعل (حرم البيت) مطلقًا يمتد إلى كل ما يسع الطائفين والمصلين والزائرين ، حتى إنه ليمتد إلى مكة كلها ، وذلك أخذًا من قوله تعالى : ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ...** ﴾ [الإسراء:١] نظرًا لهذه المكرمة الإلهية ، والحقيقة الإسلامية ، فإن المسلمين أولوا هذا البيت عبر عصور التاريخ المختلفة الاهتمام اللائق به والجدير بمكانته ، ولم ينتقص من هذه المكانة إلا فاجرٌ أو فاسق أو كافرٌ بالله، ينطلق من غل باطلة مثل القرامطة وغيرهم من الغلاة والمارقين .

ولكى نتعرف على مدى الجهود الكبيرة الممتدة عبر التاريخ ، وعلى النيات الصادقة والأموال الغزيرة التى أنفقت فى سبيل توسعة المسجد الحرام . . . لكى

---

(1) هذا الموضوع اعتمد بالدرجة الأولى على ما كتبه الأستاذ: سعود بن عبد الله الرومى والأستاذ : عدنان بن إبراهيم القدومى بالرياض فى مهرجان الجنادرية سنة ١٤١٣هـ وقد قمنا بالتلخيص والتعدي حيث إن الموضوع يعتمد على أرقام وحقائق صادرة غالبا عن أجهزة الدولة .

نتعرف على هذا كله يجب علينا أن نتوقف قليلا ، لنرى ما كان عليه المسجد الحرام قبل هذه التوسعات .

إن المؤرخين والمحققين يرون أن المدار الأساسى لمطاف الكعبة ينحصر فى الأبعاد التالية :

من الجهة الشرقية بئر زمزم وباب بنى شيبة ، ويحده من الجهة الغربية حافة المدار الذى عليه الأساطين النحاسية ، التى تعلق عليها القناديل ، ومن الجهة الشمالية حافة المدار الذى عليها الأساطين المعلقة عليها مصابيح الكهرباء الواقعة بين مدار المطاف ومقام الحنفى ، وفى الجهة الجنوبية الأساطين المذكورة الواقعة بين مدار المطاف ومقام الحنبلى ، وهو المفروش بالحجر الرخام الأبيض حول الكعبة المشرفة، ويسمى فى الوقت الحاضر « بالصحن ».

هذا ما كان عليه المسجد الحرام فى محيطه الأساسى ، قبل بداية التوسعات والعمارات التى تتابعت عبر العصور المختلفة .

العهد النبوى والخلفاء الراشدون

إن انشغال النبى ﷺ بما يتطلبه تبليغ الدعوة إلى الله ونشرها ، وغزواته المتعددة ، وقلة عدد المسلمين نسبيا فى ذلك الوقت ، لم يجعل ثمة حاجة ملحة عاجلة إلى القيام بتوسعة المسجد الحرام.

وكذلك كان الحال فى عهد خليفته أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، الذى انشغل بالتحديات الكبرى التى أحاطت بالمسلمين من داخل الجزيرة (المرتدين) ومن خارجها (الفرس والروم) ، يضاف إلى ذلك قصر مدة خلافته التى لم تدم سوى سنتين وعدة أشهر .

وما إن تولى الأمور الخليفة الراشدى الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى بدأت عصور التعمير والتوسعة .

التوسعة الأولى :

وقد تمت فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب نفسه رضى الله عنه ، وذلك فى رمضان سنة ١٧ هـ ، الموافق ٦٣٨ م ، فقد أصلح رضى الله عنه ما أفسده السيل، وأمر بتوسعة المسجد الحرام ، وذلك عن طريق شراء بعض الدور الملاصقة له ، فقد اشتراها وهدمها وأدخل أرضها فى المسجد ، كما حول مجرى السيل من جهة المدعى ، وأحاط المسجد بجدار ، وجعل له أبوابا ، كما وضع مصابيح كافية لإنارته.

التوسعة الثانية :

وقد وقعت فى عهد الخليفة الراشدى الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وذلك فى عام ٢٦ هـ ، ٦٤٦م ، فقد اشترى عثمان بعض الدور وهدمها ثم ضمها إلى المسجد الحرام وجعل للمسجد أروقة ، فكان أول من اتخذ الأروقة فى المسجد الحرام .

التوسعة الثالثة :

وهى التى تمت فى عهد عبد الله بن الزبير عام ٦٥ هـ (٦٨٤م) فى الجهات : الشرقية والجنوبية والشمالية ، وجعل فيه عمدا من رخام ، وقد روى الأزرقى أن مساحة المسجد فى عهد عبد الله بن الزبير بلغت تسعة أجربة (١) .

العصر الأموى

جاءت التوسعة والعمارة فى العهد الأموى على النحو التالى :

فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان رضى الله عنه عام ٧٥هـ ، عام ٦٩٤م، أمر الخليفة بتجديد كامل للمسجد الحرام ، ولم يزد عليه شيئا غير أنه رفع جدرانه وسقفه بالساج ، وعمره عمارة حسنة ،وجعل على رأس كل اسطوانة خمسين مثقالا من الذهب ، كما أضىء فى عهده الشارع الواقع بين الصفا

---

(١) الجريب عشر قصبات × عشر قصبات، والقصبة ستة أذرع وبذلك تكون مساحة المسجد ٣٢٤٠٠ذراع مربع .

والمروة بالمصابيح .

وقد عمل واليه خالد بن عبد الله القسرى على إدارة الصفوف حول الكعبة المشرفة ليزيد فى اتساع المسجد الحرام من المصلين ، كما عمل بعض السدود لتخفيف السيول التى تندفع نحو المسجد الحرام.

التوسعة الرابعة :

جاءت فى سنة ٩١ هـ فى عهد الوليد بن عبد الملك رضى الله عنه ، حيث أمر بتوسعة المسجد الحرام وعمّره عمارة متينة محكمة ، وزين العقود بالفسِفساء ، وجعل للمسجد الحرام سرادقات [١] ، وقد كانت هذه الزيادة فى الجهة الشرقية .

العصر العباسى

وقد رعى العباسيون ذلك باهتمام كبير وجاءت توسعاته على النحو التالى :

التوسعة الخامسة :

وقد تمت فى عهد الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور ، الذى أمر بشراء الدور من الجهة الشمالية والغربية ، وأدخلها فى فناء المسجد الحرام ، كما أمر ببناء منارة فى منتهى الزيادة فى الركن الغربى من الجانب الشمالى.

وتقدر هذه التوسعة بضعف ما كان عليه المسجد قبل توسعته ، كما زخرفه بالفسيفساء ، وكان أول من ألبسه بالمرمر من داخله وخارجه وأعلاه .

وقد دام العمل ثلاث سنوات وانتهى فى عام ١٤٠ هـ .

التوسعة السادسة :

وجاءت فى عهد الخليفة المهدى بن أبى جعفر المنصور ١٦٠ هـ ، حيث عادلت عموم التوسعات التى تمت فى المسجد الحرام منذ عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، إلى نهاية التوسعة فى عهد أبى جعفر المنصور ، وجاءت التوسعة من سائر الجوانب والأركان !!

---

(١) مسالك الأبصار لابن فضل الله العمرى ،وإن كان الأرجح أن يكون مسماها شرفات وليس سرادقات.

وعندما حج المهدى عام ١٦٤ هـ واطلع على الزيادات التى تمت فى المسجد الحرام والزيادة التى تمت فى الجانب الجنوبى ، رغب فى أن يزيد فى زيادة الجانب الجنوبى حتى يظهر المسجد بشكل تربيعى وفى وسطه الكعبة المشرفة ، فاستدعى البنائين وتدارس الوضع معهم ، وبعد مناقشات طويلة فنية ومالية اتفق على التوسعة ، وكان للخليفة المهدى شرف التوسعة والتى قدرت بحوالى تسعين ذراعا(١) .

واستمر البناء لكن المهدى توفى قبل أن يكمله ، وأتمه ابنه الخليفة الهادى، وبذلك تداخلت الزيادة فى عهد الخليفة المهدى بأن أكملها ابنه الخليفة الهادى.

وكان مما أنشأ المهدى أيضًا المنائر الثلاث ، وتكاد تكون هذه الزيادة التى بدأها الخليفة المهدى هى أقصى ما بلغه اتساع المسجد الحرام إلى عصرنا الحاضر تقريبا وقبل الزيادة الهائلة التى تمت فى العهد السعودى الزاهر.

وبناء على هذه التوسعات أصبح طول المسجد الحرام من الشرق إلى الغرب أربعمائة وسبعة أذرع ، وعرضه من الشمال إلى الجنوب ثلاثمائة وأربعة أذرع (٢)، وتكون مساحة المسجد الحرام بذلك تعادل ١٢٠,٠٠٠ ذراع مربع (٣) .

وإذا ما أحببنا أن نعمل عملية حسابية لمجموع النفقات والتكاليف (من هدم للبيوت والتعويضات ومواد البناء وأجور البنائين والعمال والفنيين) فإننا نخرج بقيمة مالية تساوى (٤,٥٧٨,٧٥٠) أربعة ملايين وخمسمائة ثمانية وسبعين ألفا وسبعمائة وخمسين ديناراً تقريبا فى ذلك العهد البعيد .

التوسعة السابعة :

فى عهد الخليفة المعتضد عام ٢٨١هـ ، وذلك من الجهة الشمالية وهى

---

(١) تاريخ إتحاف الورى للحافظ نجم الدين بن فهد القرشى المكى.

(٢) كتاب العقد الثمين لتقى الدين الفاسى .

(٣) تاريخ أخبار مكة المكرمة لأبى الوليد الأزرقى .

المعروفة فى الوقت الحاضر « بباب الزيادة » حيث هدمت دار الندوة ، وأصبحت رواقا من أروقة المسجد الحرام .

التوسعة الثامنة :

فى عهد الخليفة المقتدر بالله عام ٣٠٦ هـ حيث شملت دارين للسيدة زبيدة فأدخلت مساحتهما فى المسجد الحرام، وجعل لهذه الزيادة بابا سمى باب إبراهيم.

وقد ذكر المؤرخ والأديب ابن عبد ربه المتوفى عام ٣٢٨ هـ أن عدد أعمدة المسجد الحرام ٤٣٤ عموداً [١] ، طول كل عمود عشرة أذرع ومحيطه ثلاثة أذرع ، والمذهب من رؤوس العمد ٣٢٠ رأسا .

ومما ذكره ابن فضل الله العمرى [٢] عن ارتفاعات جدر المسجد الحرام ، أن هذه الارتفاعات كانت كالآتى : ارتفاعه مما يلى المسعى ثمانية عشر ذراعا ، ومما يلى الوادى والصفا اثنان وعشرون ذراعا ، ومما يلى باب بنى جمح اثنان وعشرون ذراعا ، ومما يلى دار الندوة سبعة عشر ذراعا ، وهذا يدل على أن أرض المسجد الحرام لم تكن متساوية .

عهد المماليك

لما كانت ليلة السبت الثامن والعشرين من شهر شوال عام ٨٠٢ هـ ، شب حريق فى أحد الرباطات المجاورة للمسجد ، فامتدت النيران إلى المسجد الحرام، وأعمدته ، وأصابه من جراء ذلك ضرر كبير ، وقدر الله أن حج فى العام الذى تلاه الأمير بيسق الظاهر ، وأمر بإعادة إعمار المسجد الحرام وتنظيفه ، واهتم بذلك كثيرا ، ولم يأت عام ٨٠٧هـ إلا وقد انتهت إعادة إعمار المسجد الحرام، وكان ذلك فى عهد السلطان الناصر زين الدين فرج برقوق [٣] .

---

(١) كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسى .

(٢) كتاب مسالك الأبصار.

(٣) كتاب الأعلام لقطب الدين الحنفى المكى .

ثم جاءت بعد ذلك عمارة السلطان قايتباى عام ٨٨٢ هـ ، وهى عمارة تمثلت فى بناء ورصد الأوقاف التى ينفق ريعها على الأساتذة فى المسجد وطلبة العلم ، وكذلك ما عمره بالمسجد كالباب والمنارة المسميين باسمه.

العهد العثمانى

اهتم العثمانيون بعمارة المسجد الحرام ، وتمثلت بداياتها فى تجديد سطح الكعبة المشرفة ، وتجديد فرش المطاف ، وإصلاح بعض أبواب المسجد الحرام، كما أضيف منبر الرخام المرمر الذى لا نظير له ، وهو موجود إلى الوقت الحاضر وأنشئت المدارس الأربع ذات القباب الأربع ، والمنارة العظيمة التى بين تلك المدارس، وعمرت منارة باب علىّ .

ولعل أهم عمارة فى عهد العثمانيين جاءت فى عهد السلطان سليم وتمثلت فى أمره ببناء المسجد الحرام جميعه بنايةً متقنة محكمة ، وجعل بدل السقف الخشبى قببا دائرة بأروقة المسجد الحرام ، واستمر العمل والعمران فى المسجد على قدم وساق !.

وقد أكمل البناء والعمران من بعده ابنه السلطان مراد خان، وما أن أطل عام ٩٨٤هـ إلا والبناء على أكمل وجه وأبهى صورة ، وكتب على بعض أبواب المسجد الحرام وبعض صدور الأروقة آيات من القرآن الكريم وبعض أسماء الخلفاء والسلاطين الذين قاموا بعمارة المسجد الحرام بخط كنظم الدر .

وكتب تاريخ هذه العمارة وحرره وأنشأه بداخل المسجد الحرام قاضى المدينة السيد حسين الحسينى.

علما بأن هناك أنواعا من العمارات تابعة للمسجد الحرام وذلك مثل : المدارس والكتاتيب ، ودور العجزة والتكايا وسبل الماء وغيرها ، والتى كانت ترصد لها الأموال الطائلة من أوقاف الدولة.

أساطين المسجد الحرام : بلغ عدد الأسطوانات الرخام التى وجدت فى المسجد

الحرام حتى عمارة عام ٩٨٤هـ أربعمائة وتسعا وستين اسطوانة، وكان على الأبواب سبع وعشرون اسطوانة ، بنيت من الحجر المنحوت ، أو الرخام ، أو الحجرة والنورة (١) .

عقود المسجد : كان عدد عقود (طاقات) أروقة المسجد الحرام كما ذكرها أبو الوليد الأزرقى (٢) ، أربعمائة وثمانية وتسعين عقدا .

وأما ما أنشئ من العقود بعد توسعة عام ٩٨٤ هـ فقد بلغ عدده ثمانمائة وواحدًا وثمانين عقدًا .

عدد القبب : يحوى المسجد الحرام بعد عمارة عام ٩٨٤ هـ مائتين وتسعًا وعشرين قبة .

شرفات المسجد الحرام : بلغ عدد الشرفات حتى عمارة الخليفة المهدى العباسى تسعمائة وثلاثا وتسعين شرفة (٣) ، وأما ما كان منها فى العمارة الأخيرة عام ٩٨٤هـ فقد بلغ ألفا وثلاثمائة وثمانين شرفة .

أبواب المسجد الحرام : بلغ عدد أبواب المسجد الحرام إلى عهد الخليفة المهدى العباسى تسعة عشر بابا وثمانيا وثلاثين نافذة .

وفى العمارات التى تلت ذلك التاريخ وخاصة بعد عمارة العثمانيين بلغ عدد الأبواب ستة وعشرين بابا .

ومجموع النوافذ سبعا وأربعين نافذة .

وكان ترتيبها من الشمال إلى الجنوب على النحو الآتى :

الباب الأول : (باب السلام) : ويعرف قديما بباب بنى شيبة وأنشأه الخليفة المهدى العباسى .

---

(١) أخلاط تضاف إلى حجرالكلس فى البناء .

(٢) كتاب « اخبار مكة المكرمة » .

(٣) كتاب مسالك الأبصار لابن فضل الله العمرى.

الباب الثانى : (باب مدرسة السلطان قايتباى) : وقام بفتحه وتعميره السلطان المملوكى قايتباى .

الباب الثالث : (باب النبى ﷺ) : وذلك لأن النبى ﷺ كان يخرج منه إلى منزله وقد فتحه وعمره الخليفة المهدى العباسى .

الباب الرابع : (باب العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه) وقد أوجده الخليفة المهدى العباسى .

الباب الخامس:(باب على كرم الله وجهه) : وقد أوجده الخليفة المهدى العباسى.

أما الأبواب فى الجهة الجنوبية فهى سبعة أبواب من الشرق إلى الغرب وجاءت على النحو الآتى :

الباب السادس : (باب بازان) : وقد عمره الخليفة المهدى العباسى.

الباب السابع : (باب البغلة): أوجده كذلك أمير المؤمنين المهدى العباسى.

الباب الثامن : (باب الصفا) : لأن الذى يخرج منه يستقبل الصفا ، وقد أوجده الخليفة المهدى العباسى.

الباب التاسع : (باب أجياد الصغير) : وقد عمره الخليفة المهدى العباسى.

الباب العاشر : (باب المجاهدية) : وقد عمره الخليفة المهدى العباسى.

الباب الحادى عشر : (باب بنى تيم) : وقد عمره الخليفة المهدى العباسى.

الباب الثانى عشر :(باب أم هانئ رضي الله عنها):وقد أوجده الخليفة المهدى العباسى .

أما الأبواب فى الجهة الغربية فكانت على النحو الآتى :

الباب الثالث عشر : (باب الحازورة): والحازورة اسم لسوق قبل الإسلام ، وقد عمره الخليفة المهدى ، وأتمه ابنه الخليفة الهادى العباسى .

الباب الرابع عشر : (باب إبراهيم) : وهو من أوسع أبواب المسجد الحرام، وأوجده الملك الأشرف الغورى أحد سلاطين المماليك .

الباب الخامس عشر : (باب بجوار رباط الخوزى) : وفى موضعه الآن رباط

اليمانية .

الباب السادس عشر : (باب مدرسة الشريف غالب) .

الباب السابع عشر : (باب مدرسة الداودية) .

الباب الثامن عشر : (باب العمرة) : لأن المعتمرين من التنعيم تعودوا الدخول والخروج منه وأوجده الخليفة أبو جعفر المنصور العباسى .

أما الأبواب فى الجانب الشمالى فهى على النحو التالى :

الباب التاسع عشر : (باب السدة) : وقد أوجده الخليفة أبو جعفر المنصور العباسى .

الباب العشرون : (باب مدرسة الزمامية) .

الباب الواحد والعشرون : (باب الباسطية) .

الباب الثانى والعشرون : (باب القطبى) وقد أوجده الخليفة المعتضد العباسى.

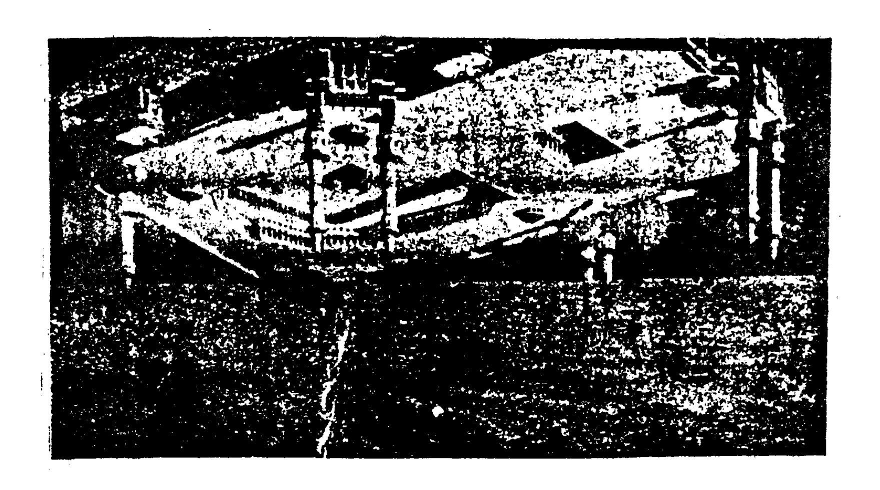
الباب الثالث والعشرون : (باب الزيادة) .

الباب الرابع والعشرون : (باب المحكمة) .

الباب الخامس والعشرون : (باب السليمانية) .

الباب السادس والعشرون : (باب الدريبة) .

منائر المسجد الحرام



كان أول من أنشأ المنائر فى المسجد الحرام الخليفة أبو جعفر المنصور العباسى الذى أنشأ منارة « باب العمرة » ،وتبعه الخليفة المهدى العباسى والذى أنشأ ثلاث منائر : إحداها على « باب السلام »، والثانية على « باب علىّ »، والثالثة على «باب الوداع » .

ثم أنشأ المعتضد العباسى منارة خامسة على « باب دار الندوة » .

ثم جاء السلطان قايتباى فأنشأ منارة سادسة بين « باب النبى وباب السلام».

ثم أنشأ السلطان سليمان العثمانى منارة سابعة أمام مدخل « باب المحكمة».

وقد تعرضت هذه المنائر للسقوط ،ولكن خلفاء الدولة الإسلامية وسلاطينها كانوا يتسابقون لإصلاحها أو ترميمها أو بنائها من جديد .

ولقد بلغت التوسعة فى عهد الدولة العثمانية ذروتها بالنسبة لذلك العصر، وأصحبت كافية للحجاج وقادرة على أن تلبى متطلباتهم.

التوسعة السعودية الأولى

بدأت مسيرة العمارة والتوسعة للحرم المكي الشريف ، ورعاها وأشرف عليها الملك عبد العزيز ، حيث أصدر أوامره وتوجيهاته فى عام ١٣٤٤هـ بترميم وإصلاح كل ما يحتاج إليه مبنى المسجد الحرام . وبعد سنتين من ذلك أمر بعمل عمارة كاملة للمسجد من الداخل والخارج بحيث شملت هذه العمارة : ترميم بلاطات أروقة المسجد فى جهاته الأربع ، وترميم عقود المسجد وأعمدته ، وعمل المظلات لوقاية الحجاج والمصلين فى المسجد الحرام من الحر .

وفى عام ١٣٥٤ هـ أمر الملك عبد العزيز رحمه الله بوضع خطة لعمارة وإصلاح عموم أنحاء المسجد، وأشرف على ذلك ابنه الأمير فيصل رحمه الله، وشكلت لذلك لجنة خاصة ، ودرست الموضوع من كافة نواحيه الفنية والمالية ، ورفعت تقريرها إلى الملك عبد العزيز الذى أقره ، وباشرت اللجنة أعمالها ، وجاءت على أحسن وجه وأبهى صورة، نعم بها الحجاج والزوار لبيت الله الحرام،وخفّت معاناتهم، وهانت مشقات أبعاد أسفارهم .

ومع التطور فى وسائل المواصلات ، والتقدم الاقتصادى ، والنمو السكانى تضاعف زوار بيت الله الحرام ، فما كان من الملك سعود رحمه الله إلا أن أصدر أوامره وتوجيهاته بالشروع فى توسعة المسجد الحرام لتبدأ عملية التوسعة والعمارة بشكلها الجديد .

وبالفعل فى اليوم الرابع من شهر ربيع الآخر عام ١٣٧٥هـ بدأت على بركة الله أعمال التوسعة فى الجهتين الجنوبية والشرقية . وهدمت الدور بعد نزع

ملكيتها وتقديم التعويضات المناسبة لأهلها ، وحفرت القواعد لتوسعة المسعى ، وفى عام ١٣٧٧هـ تم إنجاز الآتى :

– إنهاء ما تبقى من الطريق الجديد وتحويل حركة المرور إليها .

– هدم المنشآت السكنية والتجارية القائمة قرب المسعى وتعويض أصحابها.

– بناء المسعى من طابقين ، وجعل له ستة عشر بابا ، وإنشاء مجرى خاص لتحويل مجرى السيل الذى طالما اخترق المسعى ،وتتسرب المياه على أثره إلى داخل المسجد .

وتوالت العمارة والتوسعة فى المسجد الحرام ، حيث هدمت كثير من البيوت والمحلات التجارية ، وأدخلت فى التوسعة ، كما بنى العديد من الأروقة وما شابهها مما ييسر ويسهل على الحجاج والزائرين تأدية مناسكهم على الوجه الأكمل.

وقد واصل الملك فيصل والملك خالد رحمهما الله الجهود والاهتمام بالعمارة والتوسعة للمسجد الحرام لاستيعاب الأعداد الغفيرة، التى بدأت تتوافد على الأماكن المقدسة لأداء فريضة الحج والزيارة .

وأمام زيادة الأرقام التى قدرتها الإحصاءات المتعلقة بشؤون الحج بما يقارب المليونين من الداخل والخارج فى عام ١٣٩٨هـ ، كان لابد من رؤيا جديدة ، ودراسة أشمل وأوسع لعمارة المسجد وتوسعته ،فكانت التوسعة السعودية الثانية الكبرى الشاملة التى سنتحدث عنها فى الصفحات التالية .

التوسعة السعودية الثانية



لما نودى بالملك فهد بن عبد العزيز ملكا على البلاد أخذ حفظه الله فور توليته يوجه لتوسعة الحرمين الشريفين .

وأمام الأرقام المتزايدة من الحجاج والزوار للأماكن المقدسة والتى فاقت المليونين، جاء التوجيه من مقام خادم الحرمين الشريفين بوضع استراتيجية وتصور مستقبلى شامل لهذه العمارة والتوسعة .

فبدأت المشاريع تترى والمتابعات تستمر فى سبيل إتمام هذه التوسعة الكبيرة للمسجدين الشريفين والمشاريع الأخرى المحيطة بهما،لينعم بها أبناء العالم

الإسلامى عند تأديتهم لفريضتهم ، أو عندما ينعمون بزيارة هذه الأماكن المقدسة .

وقد كان الملك فهد يحرص على القول دائما ، موجها حديثه إلى المسلمين :

« وأؤكد لكم أيها الأخوة أن كل شىء أستطيع تقديمه للحرمين الشريفين ولمكة مهبط الوحى والمدينة مشع نور الرسالة لن أتردد لحظة فى المبادرة إلى تقديمه . . . وسوف لا أدخر وسعا بالجهد والمال فى سبيل استكمال هذا العمل الإسلامى الحضارى التاريخى الذى وهبت نفسى فى سبيل تحقيقه.

وأحمد الله أن شرفنى وإخوانى وأهل هذا البلد بهذا الفضل العظيم».

إنها كلمات ثابتة وخطوط واضحة لخدمة قبلة المسلمين ومكان تجمعهم السنوى، وخدمة مدينة رسولهم العظيم ﷺ .

جدول يوضح ما قبل التوسعة السعودية وما بعدها

النـــــوع	قبل التوسعة السعودية الأولى	بعد التوسعة السعودية الأولى	بعد توسعة خادم الحرمين الشريفين
مساحة عمارة المسجد بالمتر المربع	٢٨,٠٠٠	١٥١,٠٠٠	٢٠٨,٠٠٠
مساحة السطح المستخدم للصلاة بالمتر المربع	—	—	٦١,٠٠٠
مساحة الساحات المحيطة بالمسجد بالمتر المربع	—	—	٥٩,٠٠٠
عدد المصلين	٤٧,٠٠٠	٣١٣,٠٠٠	٧٣٠,٠٠٠
عدد المآذن	٧	٧	٩
ارتفاع المئذنة بالمتر	٣٦	٨٩	٨٩
عدد الأدراج	—	٧	١١
عدد مبانى السلالم المتحركة	—	—	٧
تكييف هواء المسجد	—	—	محطة مركزية تبعد ثلاثة كيلو مترات عن المسجد الحرام وتزيد طاقتها على ٤٠,٠٠٠ طن

ولهذا جاءت التوجيهات المتتابعة فى سبيل إنجاز هذين المشروعين العملاقين.

ولنعش الآن مع هذه التوسعة .

التوسعة السعودية فى ظل اهتمام خادم الحرمين الشريفين :

لقد أولى خادم الحرمين الشريفين مكة المكرمة اهتماما خاصا وعناية فائقة ، ففى صفر عام ١٤٠٩هـ وضع حجر الأساس لتوسعة عمارة الحرم المكى الشريف وابتدأ العمل الرسمى فيه بتاريخ ٨ جمادى الأولى عام ١٤٠٩هـ . وقد جاء مشروع التوسعة والعمارة على النحو الآتى :

أولا :توسعة الحرم المكى الشريف وعمارته :

إن نظرة فاحصة متأنية إلى الجدول الإحصائى التالى لتوضح بجلاء تلك الجهود الجبارة والنيات الصادقة ، والحرص المتواصل على خدمة هذه المشاريع الحضارية الإسلامية .

ولقد تضمنت توسعة المسجد الحرام إضافة جزء جديد على مبنى المسجد الحالى من الناحية الغربية فى منطقة السوق الصغير بين باب العمرة وباب الملك عبد العزيز، بحيث أصبحت التوسعة والعمارة على النحو التالى :

أ ـــ مساحة أدوار مبنى التوسعة (٥٧,٠٠٠) متر مربع موزعة على الدور الأرضى والدور الأول والسرداب .

ب ـــ مساحة السطح وتبلغ (١٩,٠٠٠) متر مربع .

جـ ـــ تجهيز الساحات الخارجية ومنها الساحة المتبقية من جهة السوق الصغير والساحة الواقعة شرقى المسعى بمساحة إجمالية تبلغ (٥٩,٠٠٠) متر مربع.

وبذلك تصبح مساحة المسجد الحرام شاملة مبنى المسجد بعد توسعته والأسطح وكامل الساحات (٣٢٨,٠٠٠) متر مربع تتسع لحوالى (٧٣٠,٠٠٠) مصلٍ، كما يتضمن مبنى التوسعة مدخلا رئيسًا جديداً و ١٨ مدخلا عاديا ، هذا بالإضافة

إلى مداخل المسجد الحرام الحالية والبالغ عددها « ٣ » مداخل رئيسية و«٧» مداخل عادية ، ومئذنتان جديدتان بارتفاع ٨٩ مترا ، زيادة على المآذن الحالية البالغ عددها سبع مآذن .

وتسهيلا لحركة المصلين فقد تم إضافة مبنيين للسلالم المتحركة، وتحتوى على مجموعتين من السلالم المتحركة ، وبذلك يصبح إجمالى عدد مبانى السلالم المتحركة سبعة مبانى.

وقد رافق هذا العمل الجبار خصائص إنشائية هندسية متقدمة ورائعة، تبرز من بينها القباب الثلاث كفن معمارى روعى فيها وفى المبنى عامة الجانب الجمالى للفن المعمارى الإسلامى ، والذى يمثل معلما من أهم معالم الفنون المعمارية العالمية.

كما تضمنت تلك التوسعة والعمارة كمّا هائلا من الأعمال الكهربائية المتقدمة مثل محطات التحويل وشبكة الكابلات ، والأسلاك المعدة فى السرداب ولوحات التوزيع ، وأجهزة المراقبة والتحكم .



(باب الملك فهد الباب الرئيس للتوسعة يحده منارتان على الجانبين ارتفاعهما ٨٩ متراً)

وبالإضافة إلى ذلك تجهيزات الإنارة التى استخدمت فيها ثريات تتناسب مع الشكل المعمارى للتوسعة ، كما تم تنفيذ شبكة إذاعة داخلية تتلاءم مع مساحة التوسعة ، وبحيث تكون على مستوى تقنى عال جدا ، وتم إضافة عدد من الساعات تتصل بالنظام المركزى للساعات الموجودة حاليا يعمل نصفها بالتوقيت الزوالى ونصفها الآخر بالتوقيت الغروبى .

كما شلمت التوسعة والعمارة على خدمات عامة أخرى منها: تصريف مياه الأمطار ، وتوفير مناهل لشرب مياه زمزم فى جميع الأدوار ، وتوفيرالشرب بعدد ٩٦ نافورة ، كما يتضمن شبكات لإطفاء الحريق وشبكة لمخارج مياه التنظيف، وبلغ عدد الأعمدة لكل طابق بالتوسعة ٤٩٢ عمودا مكسوة بالرخام.

ثانيا : تحويل أنفاق السيارات والمشاة بمكة المكرمة وتهيئة الساحات المحيطة بالمسعى للصلاة :

تشكل السيارات عبئا كبيرًا فى الحركة والتنقل والمزاحمة فى شوارع مكة المكرمة والمدينة المنورة وساحاتهما العامة ، ولذا كانت هذه العملية تشغل الجهات المسؤولة فى الدولة من : إمارة ومرور ، وحج وغير ذلك من الجهات المباشرة عن تيسير سبل تأدية الحجاج والمعتمرين لفرائضهم فى يسر وطمأنينة ولذلك تم الآتى :

أ ــ تحويل أنفاق السيارات: وذلك بتعديل الطريق الدائرى الأول ما بين شارع أجياد ومنطقة شعب على والقشاشية ،مع المحافظة على المقطع العرضى النموذجى للطريق ، وزيادة مسار إضافى لتأمين الحركة المرورية عند التقاطعات، كما أقيمت ٤ جسور علوية لتأمين استمرارية الحركة على الطريق الدائرى عند تقاطعه مع شارع شعب قريش وشارع أجياد السد ، وقد بلغ عدد الأنفاق الجديدة أربعة، وطولها الإجمال ١٦٠٠ متر، وتم تجهيزها بالإنارة والتهوية وكامل وسائل السلامة الضرورية.

وقد بلغ عدد الكبارى للتقاطعات الجديدة أربعة بمساحة إجمالية تقدر بحوالى

٢٦٠٠ متر مربع، كما تم إنارة كامل الأجزاء المعدلة من الطريق الدائرى وتشجيرها.

ب ــ تعديل مسار أنفاق المشاة الموصلة إلى الصفا : يتم تعديل مسار هذه الأنفاق فى الجزء الأخير منها بحيث يكون مخرجها جنوب أنفاق الطريق الدائرى الأول بمنطقة شعب على ، ويبلغ طول هذا الجزء ٤٠٠ متر ، كما يتم إنشاء ممر للمشاة يصل بين مخارج الأنفاق الجديدة وساحة الصلاة شرق المسعى وذلك بطول إجمالى يبلغ ٣٠٠ متر ، مسزودة بنظم التهوية والإنارة وخلافه ، كما اقتضت التوسعة والعمارة هذه إنشاء الجدران الاستنادية والأسوار ، وتتخللها خمس بوابات معدنية على امتداد شارع أجياد السد ، كما تم تهيئة الساحات المحيطة بالمسعى للصلاة ، وذلك بتوسعة المنطقة شرقى المسعى بإلغاء دورات المياه الموجودة تحت الأرض وإزالة الكبارى الحديدية وتمهيد المنطقة بمساحة كلية تبلغ حوالى (٤١,٠٠٠) متر مربع ، فضلاً عن إنارة الساحات وممرات المشاة ، كما تم تنفيذ شبكات تصريف مياه الأمطار وتنفيذ سرداب للخدمات ، وتبلغ المساحة الإجمالية له حوالى (١٩,٠٠٠) متر مربع .

ولما كان الوضوء ودورات المياه من الأمور الأساسية والهامة فى المرافق العامة، كانت العناية كبيرة بذلك ، فجاء مبنى دورات المياه يتألف من دورين بمساحة إجمالية حوالى (١٤,٠٠٠) متر مربع، ويحوى المبنى (١٤٤٠) دورة مياه (١٠٩١) نقطة وضوء، و (١٦٢) نافورة شرب . مع ممرات للمشاة تسهل انتقال المواطنين والحجاج ، وروعى فيها تأمين دورات للنساء بمداخل منفصلة .

ثالثا : تلطيف الهواء بالحرم المكى الشريف ومبنى التوسعة بما فى ذلك المسعى:

لا شك فى أن تلطيف الهواء صيفا وشتاءً أمر ضرورى ومريح جدًا للحجاج والمعتمرين، وقد كان ذلك ضمن الخطة التى وضعت فى التوسعة والعمارة فى ظل اهتمام خادم الحرمين الشريفين وقد تم ذلك على النحو التالى :

أ ــ مبنى الحرم الحالى ومبنى التوسعة : ويشمل هذا المشروع أعمال تكييف الهواء فى الأدوار السفلى والأرضى والأول فى المبنى الحالى للحرم المكى الشريف بما فيه مبنى المسعى ومبنى التوسعة السعودية الثانية . . . هذا مع مراعاة مبادئ أساسية فى تصميم أنظمة تلطيف الهواء، ترتكز على الأمور الآتية :

ــ المحافظة إلى أقصى الحدود على الرونق والجمال المعمارى الإسلامى للحرم الشريف.

ــ عدم إيجاد عوائق تحد من حركة المصلين داخل الحرم الشريف .

ــ عدم التقليل من مساحات الصلاة .

ــ اعتماد نظم ترتكز على مبادئ فنية معروفة ومجدية .

وقد عولجت هذه المبادئ على الكيفية الآتية :

١ ــ فى الدورين الأرضى والأول : اعتمد نظام تلطيف الهواء على مبدأ دفع الهواء البارد خلال أرض مرتفعة وتوزيعه على مستوى مرتفع حول الأعمدة المربعة.

٢ ــ فى الدور السفلى : تركب الوحدات المركزية لتوليد الهواء البارد داخل غرف منتشرة على طول الجدار الخارجى ويتم دفع الهواء البارد فى مجارى صاج معزولة حراريًا تمد فوق سقف مستعار فى جميع الممرات الطولية .

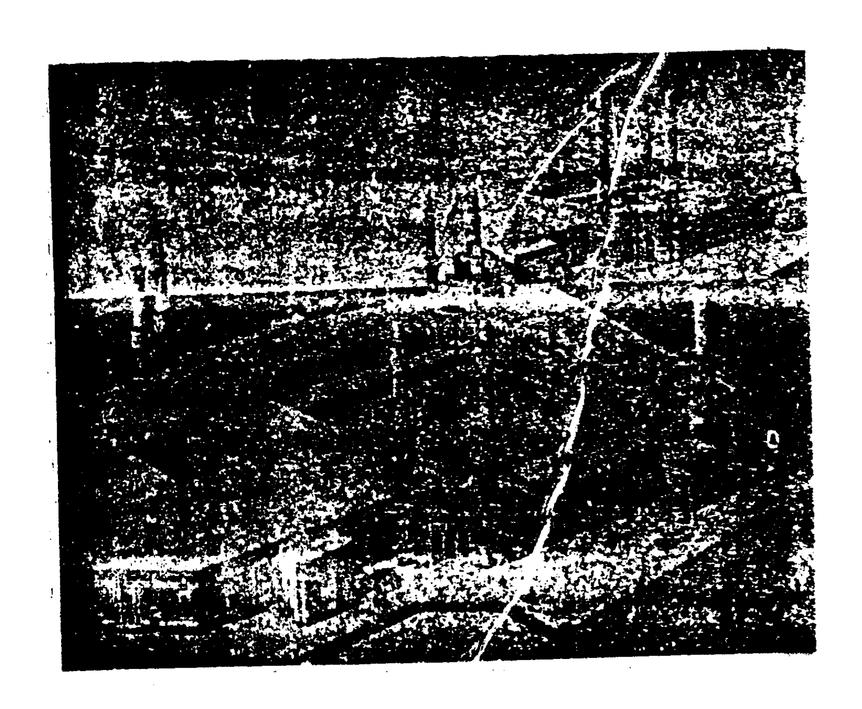
٢ ــ فى المسعى : وذلك على طول المسعى فى الدور الأرضى والدور الأول.

ب ــ نفق الخدمات ومحطة التكييف المركزية ، ويشمل الآتى :

١ ــ المحطة المركزية : لتوليد المياه المثلجة والتى ستقام فى منطقة كدى وتحوى عددًا من ماكينات التبريد ومضخات المياه المثلجة وجميع المعدات الإضافية لتشغيل هذه المحطة ، كما تحوى مركز تشغيل وتحكم «أوتوماتيكى » ومولدات طاقة كهربائية احتياطية .

٢ ــ نفق الخدمات : وذلك للربط بين المحطة المركزية والحرم المكى الشريف،

ويحوى هذا النفق المواسير المعزولة ناقلة المياه الباردة ، ومجهز بجميع وسائل الإضاءة والتهوية ، وأجهزة السيطرة على القنوات والتحكم «الأتوماتيكى».



جزء من الوجهة الخارجية للتوسعة

تبرز الناحية الجمالية للزخرفة الإسلامية

عمارة المسجد النبوى وتوسعته عبر التاريخ الإسلامى

المرحلة الأولى :

وهى التى تم فيها تأسيس المسجد النبوى الشريف عام « ١ هـ» حيث تم اختيار الموقع ، وإعداده والتهيئة للبناء عليه ، وقد أشرف النبى ﷺ على ذلك بنفسه، وكان النبى الكريم ينقل الحجارة واللبنات ، ومعه الصحابة وعامة المسلمين وهم يرددون :

اللهم إن الأجر أجر الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

وجاء أساس المسجد على عمق ثلاثة أذرع (١,٥م) ثم سقف الجزء المواجه للقبلة جهة بيت المقدس ـ قبل أن يؤمر المسلمون بتحويل وجهتهم شطر المسجد الحرام ـ ليقى المصلين من الحر ، وقد كان بناؤه من اللبن وسقفه من الجريد وعمده خشب النخيل، وكانت أبعاد المسجد الشريف ـ كما روى زيد بن ثابت ـ كالآتى :

سبعون ذراعًا طولا من الشرق إلى الغرب ، وستون ذراعا عرضًا من الشمال إلى الجنوب، وكان له ثلاثة أبواب ، باب فى المؤخرة أى جهة الجنوب ، وباب فى جهة الغرب يدعى باب عاتكة أو باب الرحمة ، وباب من جهة الشرق يسمى باب آل عثمان، وكان الرسول ﷺ يدخل منه، وبقى الأمر على حاله تلك إلى السنة الثانية للهجرة حيث نزل القرآن الكريم يقول الله تعالى: ﴿ **قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ** ﴾ [البقرة: ١٤٤] فأصبح اتجاه القبلة إلى الجنوب بدلاً من الشمال، وتعدلت

تبعا لذلك بعض أبواب المسجد النبوى الشريف .

التوسعةالأولى : زيادة النبى ﷺ بعد غزوة خيبر عام ٧ هـ ، حيث ازداد عدد المصلين فصارت الضرورة قائمة لزيادة المسجد، وبالفعل اشترى الرسول الكريم بعض البيوت المجاورة للمسجد الشريف ووسع بها المسجد ، وكانت التوسعة من الجهات الثلاث : الشرق والغرب والشمال ، وأصبح طوله ١٠٠ ذراع × ١٠٠ ذراع [١] ،وزاد ثلاثة أعمدة فى كل رواق فأصبح عدد الأعمدة فى الصف الواحد تسعة بدلا من الستة التى كانت قائمة قبل الزيادة ، وكانت سماكة الجدار واحدا ونصف ذراع واستعمل الحجر من الطوب لأول مرة فى جدار القبلة ، وقد بلغ إجمالى عدد الأساطين فى المسجد الشريف سبعا وعشرين اسطوانة، وقد بلغ ارتفاع المسجد الشريف سبعة أذرع .

التوسعة الثانية : وكان ذلك فى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام ١٧هـ حيث ازداد عدد سكان المدينة وقامت الحاجة لتوسعة المسجد النبوى الشريف ، فاشترى عمر بن الخطاب البيوت المجاورة من بيت مال المسلمين ووسع بها المسجد الشريف بحيث أصبح طوله (١٤٠) ذراعا وعرضه (١٢٠) ذراعا، وقد بناه على أساس من الحجارة، وجعل له ستة أبواب : بابين عن يمين القبلة ، وبابين عن يسارها ، وبابين خلف القبلة ، فجاءت أبوابه هكذا : باب جبريل ، وباب عاتكة ، وباب السلام، وباب النساء ، وباب آل عثمان ، وباب فى المؤخرة ، وقد بلغ ارتفاع سقفه أحد عشر ذراعا .

التوسعة الثالثة : وكانت فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه عام ٢٩هـ حيث زاد فيه وبنى جداره بالحجارة المنقوشة ، وجعل عمده كذلك ، وبذلك أصبح طول المسجد الشريف من الشمال إلى الجنوب ١٧٠ ذراعا، وعرضه من الشرق إلى الغرب ١٣٠ ذراعا، وكان عدد الأعمدة فى الأروقة الخمسة اثنى عشر

---

(١) أى ٥٠ × ٥٠ مترا .

عمودا ، وبنيت هذه الأعمدة من الحجر ، وقد أدخل دار أم المؤمنين حفصة مما يلى القبلة وباقى دار العباس فى توسعة المسجد (١) .

التوسعة الرابعة : وهى الزيادة التى تمت فى عهد الوليد بن عبد الملك عام ٩١هـ، حيث ازداد الناس فى المدينة المنورة ، وأصبحت الحاجة ماسة إلى توسعة المسجد الشريف ، فأمر الخليفة عامله على المدينة المنورة عمر بن عبد العزيز بشراء البيوت من حول المسجد الشريف وضمها إليه . وقد تم ذلك بإشراف العديد من البنائين والفنيين المهرة الذين أحضروا من العديد من الولايات الإسلامية، وتمت هذه الزيادة فى ثلاث جهات : الشرق والغرب والشمال ،ليصبح المخطط على شكل شبه منحرف أضلاعه كالآتى:

الضلع الجنوبى (١٦٧,٥) ذراعا ، والضلع الشمالى (١٣٥) ذراعا ، والضلع الشرقى والغربى (٢٠٠) ذراع ، وبنيت جدرانه من الحجر بسمك ذراعين، وجعل المصلى مكونا من خمس بلاطات فى كل بلاطة سبعة عشر عمودا، أما بلاطة المحراب فقد غطيت بقبة ركزت على جسور المسجد المتعامدة ، ولوحظ فى كل التوسعات أن جميع الخلفاء كانوا حريصين أن يتماثل مخطط المسجد الشريف ومظهره بعد التوسعة مع المخطط الذى بنى فى عهد الرسول ﷺ.

وقد بلغ ارتفاع المسجد فى عهد الوليد (٢٥) ذراعا ، والأرجح أن الأبواب الستة بقيت كما كانت فى عهد عثمان رضى الله عنه ، وقد أنشئت فى هذه التوسعة أربع منارات، وأنشئ المحراب ، وكذلك الشرفات ، وقد زخرف المسجد بزخرفة وفسيفساء جميلة ، وزود بماء للشرب والوضوء .

التوسعة الخامسة : وهى التوسعة التى تمت فى عهد الخليفة المهدى ، حيث تولى البناء عبد الله بن عاصم بن عمر بن عبد العزيز ، وقد تمت التوسعة فى

---

(١) نور الدين السمهورى فى كتاب وفاء الوفاء جـ ٢ ص ٥١٠ ــ ٥١٢ .

الجهة الشمالية، والأرجح أنها خمسة وخمسون ذراعا (٢٧,٥) [١] مترا ، وقد أصبحت البلاطات فى الشمال خمسا بدلا من أربع، وأصبحت الأبواب فى هذه التوسعة عشرين بابا [٢] .

وتوالت العمارات للمسجد الشريف وخاصة بعد حدوث الحريقين به، حيث بدأها الخليفة المستعصم بالله آخر خلفاء بنى العباس فى بغددا ، وأتمها الملك الظاهر بيبرس ، ثم جدد الناصر قلاوون سقف المسجد وزاد رواقين فى القسم الجنوبى .

التوسعة السادسة : وقد تمت فى عهد السلطان الأشرف قايتباى بعد حريق أصحاب المسجد الشريف وأتى على جزء كبير منه ، فأرسل البنائين والعمال وأعاد بناء المسجد ، وأقام العقود والقبب ، وزخرف المسجد ، ورخم بعض أجزائه ، وقد بلغت جملة مساحة المسجد ٩٠١٠ أمتار مربعة وكان ذلك عام ٨٨٨هـ .

التوسعة السابعة : وهى التوسعة التى تمت فى العهد العثمانى، وابتدأت من عام ١٢٦٥هـ واستغرقت نحو ١٣ عامًا، وأصبحت مساحة المسجد بعد هذه العمارة (١٠٣٠٣) أمتار مربعة ،وكانت أضخم العمارات منذ شيده الرسول ﷺ حتى ١٢٧٧هـ . واستخدمت القباب وزخرفت بزخارف بديعة بالآيات القرآنية الكريمة والخطوط الرائعة الجميلة ، حيث يظهر الإبداع الفنى كنموذج استمرارى لفن العمارة الإسلامى البديع ، وقد بلغ عدد الأعمدة فى هذه العمارة ٣٢٧ عمودا ، فى حين بلغ عدد المنائر أربع منائر .

المنبر النبوى الشريف :

كان المنبر الأول فى عهد الرسول الكريم يتكون من ثلاث درجات غير درجة المستراح، وبقى الحال كذلك على طول الخلافة الراشدة ، ولما ولى معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه الخلافة زاد فى المنبر فجعله ست درجات .

---

(١) نور الدين السمهورى: وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٣٧ .

(٢) المصدر السابق.

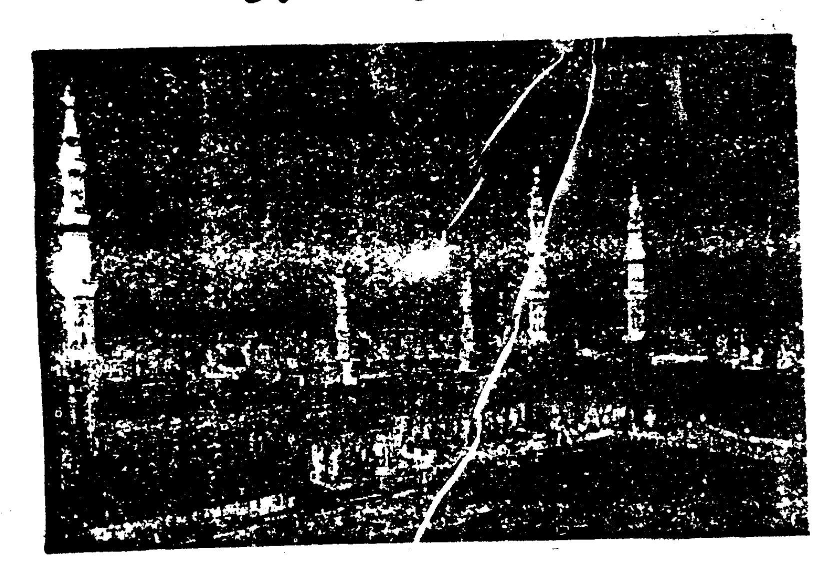
ولما احترق المنبر مع حريق المسجد النبوى الشريف عام ٦٥٤هـ أرسل المظفر صاحب اليمن منبرا له رمانتان ، وفى عام ٦٦٤هـ أرسل الظاهر بيبرس منبرًا وضع بدل منبر المظفر، وبقى كذلك حتى أرسل الظاهر برقوق منبرًا عام ٨٦٧هـ بدلا من المنبر السابق.

ولما احترق المسجد الشريف عام ٨٨٦ هـ بنى أهل المدينة المنورة منبرًا بالأجر طلى بالنورة .

وفى عام ٨٨٨ هـ أرسل الأشرف قايتباى منبرًا من الرخام وضعه بدلا من منبر أهل المدينة المنورة .

ولما حكم السلطان مراد العثمانى أرسل فى عام ٩٩٨ هـ منبرًا مصنوعًا من الرخام غاية فى الإبداع، حتى طفق المؤرخون بالثناء كثيرا عليه ، ولا يزال باقيا إلى تاريخه بدلا من منبر قايتباى الذى نقل إلى مسجد قباء.

التوسعة فى العهد السعودى



مرت التوسعة السعودية بمرحلتين هما :

أولا : التوسعة السعودية الأولى

فى الثانى عشر من شعبان عام ١٣٦٨هـ توجه الملك عبد العزيز رحمه
بخطاب مفتوح إلى المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها، يبشرهم بعزمه
توسعة المسجد النبوى الشريف ، كيف لا ، وزيادة الزوار والمعتمرين ...

تترى بشكل كبير فى كل عام .

وبالفعل فى ٥ شوال عام ١٣٧٠ هـ بدأت المرحلة الأولى من العمارة والتوسعة السعودية ، وأشرف عليها العديد من المهندسين والعمال الفنيين، وأحضرت المعدات اللازمة للمشروع، ووضع حجر الأساس فى ١٣ ربيع الأول عام ١٣٧٣هـ، وشملت العمارة السعودية والتوسعة حوالى ١٢,٢٧١ مترا مربعا، وبلغ عدد الأعمدة التى تمت فى هذه العمارة ٤٧٤ عمودا مربعا ، و ٢٣٢ عمودا مستديرا ، وعدد العقود ٦٨٩ عقدا ، وبلغ عدد المصابيح ١٢٤١١ مصباحا وتمت العمارة هذه عام ١٣٧٥هـ .

وأمام تزايد الأعداد الغفيرة من الحجاج والزوار والمعتمرين كان لابد من مواصلة الجهود والأعمال فى سبيل توسعة المسجد النبوى الشريف ومتابعة إعماره الذى بدأه الملك عبد العزيز رحمه الله .

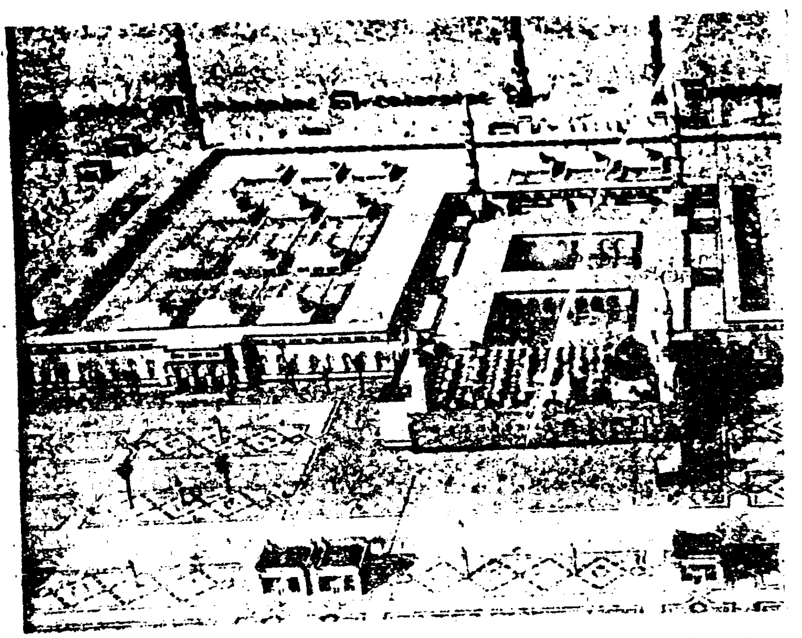
وقد واصل عمارته وتوسعته من بعده أبناؤه الملك سعود والملك فيصل وبعده الملك خالد رحمهم الله ، وقد بذلوا الجهود والإمكانات فى سبيل تسهيل كافة السبل لتأدية الحجاج والزوار والمعتمرين لشعائرهم على أحسن وجه ممكن، والمتمثلة فى انتزاع ملكية البيوت والمساحات حول المسجد، وكذلك إيجاد ميدان فسيح يتصل بشارع المناخة ليزيد من اتساع المسجد النبوى الشريف لهذه الأعداد الكبيرة المتزايدة سنويا .

أبواب المسجد النبوى الشريف :

للمسجد النبوى الشريف عشرة أبواب، خمسة فى عمارة السلطان عبد المجيد، وخمسة فى العمارة السعودية وهى كما يأتى:

١ ــ **باب السلام** : وقد أوجده عمر بن الخطاب فى أثناء زيارته فى المسجد الشريف .

٢ ــ **باب الرحمة** : ويسمى باب عاتكة ، وهو بحذاء الباب الذى فتحه رسول الله ﷺ فى الجهة الغربية عند عمارته للمسجد الشريف .



٣ ـ **باب جبريل** : ويسمى باب آل عثمان ، ويقع في جدار المسجد الشرقى بعد حاجز الحجرة الشريفة .

٤ ـ **باب النساء** : وهو بحذاء الباب الذى فتحه عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

٥ ـ **باب الصديق** : وقد سمى فى العمارة المجيدية العثمانية بخوخة أبى بكر الصديق، وكذلك فى العمارة السعودية يسمى « بباب الصديق » .

٦ ـ **باب عبد العزيز** : يقع فى الجدار الشرقى، وهو عبارة عن ثلاثة أبواب متجاورة واسعة .

٧ ـ **باب عثمان بن عفان** : يقع فى ركن المسجد الشمالى الشرقى.

٨ ـ **باب المجيدى** : يقع فى وسط الجدار الشمالى الشرقى .

٩ ـ **باب عمر بن الخطاب** : يقع فى ركن المسجد الشمالى الغربى .

١٠ ـ **باب سعود**:يتوسط الجدار الغربى، وهو عبارة عن ثلاثة أبواب واسعة.

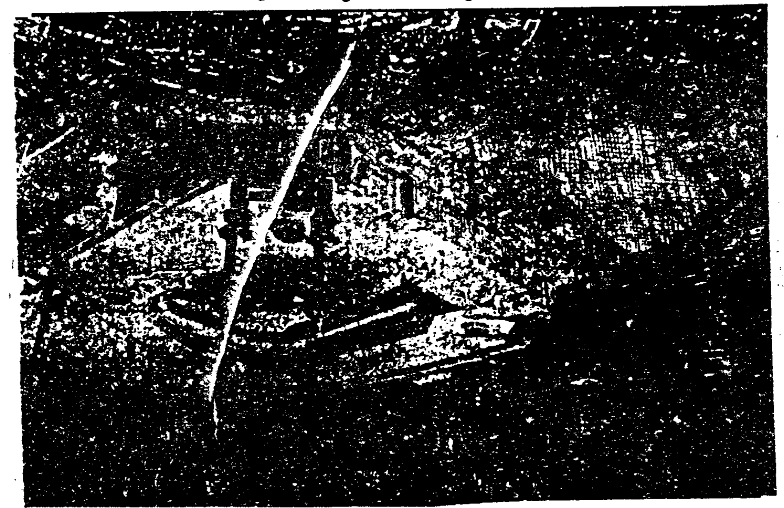
القبة على الحجرة المطهرة : يتفق المؤرخون على أن السلطان قلاوون هو أول من أنشأ القبة على الحجرة النبوية الشريفة ، وكان ذلك عام ٦٧٨ هـ .

وقد جددت وأحكم بناؤها فى عهد الناصر حسن والأشرف شعبان وذلك عام ٧٦٥هـ .

ولما احترق المسجد النبوى للمرة الثانية عام ٨٨٦ هـ ، احترقت المقصورة والقبة ، فجدد السلطان قايتباى عام ٨٨٧هـ القبة ، وأسسها على دعائم قوية، وبقى الحال كذلك عدة قرون إلى أن أمر بتجديدها السلطان محمود العثمانى، وكان ذلك عام ١٢٣٣هـ .

وفى عهد السلطان عبد الحميد العثمانى أمر بصبغها باللون الأخضر وذلك عام ١٢٥٣ هـ، وسميت بالقبة الخضراء، ولا يزال هذا لونها .

ثانيا : التوسعـة السعودية الثانيـة



استهدفت عمارة الحرم النبوى الشريف وتوسعته فى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد حفظه الله ، إعادة تخطيط المدينة المنورة وتحسينها وتجميلها بما يليق وما تحتله من مكانة لدى المسلمين .

ففى شهر صفر من عام ١٤٠٦هـ بدأ العمل بمشروع خادم الحرمين الشريفين لتوسعة المسجد النبوى الشريف وعمارته ، وما يتبعه من ساحات ومواقف للسيارات ومحطات ومبان للخدمات .

وقد جاءت هذه المشروعات على النحو الآتى :

أولا : مبنى التوسعة :

يتضمن مشروع خادم الحرمين الشريفين لعمارة وتوسعةالحرم النبوى الشريف: إضافة مبنى جديد على مبنى المسجد الحالى يحيط ويتصل به من الشمال والشرق والغرب بمساحة مقدارها (٨٢,٠٠٠) متر مربع ، ويستوعب (١٣٧,٠٠٠) مصل، وبذلك تصبح المساحة الإجمالية للدور الأرضى فى المسجد (٩٨,٥٠٠) متر مربع، تستوعب (١٦٧,٠٠٠) مصل ، وبذلك سوف يتسع المسجد النبوى الشريف بعد التوسعة لأكثرمن (٢٥٧,٠٠٠) مصل ضمن مساحة إجمالية تبلغ (١٦٥٥٠٠) متر مربع ، وتتضمن أعمال الإنشاءات : دورا تحت الأرض ـ السرداب ـ بمساحة الدور الأرضى بالتوسعة ، وتحوى التوسعة سبعة مداخل رئيسة يتألف كل منها من سبع بوابات ، وهناك مدخلان آخران من الناحية الجنوبية يتألف كل منهما من بوابتين ، هذا بالإضافة إلى ست من البوابات الجانبية، وبذلك يصبح إجمالى البوابات (٥٩) بوابة ، يضاف إلى ذلك ثمانى بوابات لمداخل السلالم المتحركة التى تخدم سطح المسجد المخصص للصلاة ومخارجها .

وللمسجد بعد التوسعة عشر مآذن ، منها ست مآذن جديدة، ارتفاع كل منها (٩٩) مترا ، يضاف إلى ذلك ارتفاع الهلال ليصبح الارتفاع الجمالى (١٠٥) أمتار، وقد تميزت الخصائص المعمارية بمميزات أهمها :

الارتفاع المناسب للأدوار ، وعدد الأعمدة والذى بلغ (٢١٠٤) أعمدة متفاوتة الأبعاد ما بين ٦ أمتار إلى ١٨ مترا ، كما زود المسجد بسبع وعشرين قبة، وتركب كل قبة على مساحة ١٨م × ١٨ م ، ويتم إغلاق القبب وفتحها بطريقة كهربائية مما يتيح الاستفادة من التهوية الطبيعية فى الفترات التى تسمح الأحوال الجوية بها . كما روعى معماريا إمكانية بناء دور ثان فوق التوسعة مستقبلا ، وتهيئة السطح وفرشه بالرخام لاستخدامه من قبل المصلين .

ومع ذلك فإن طراز العمارة والزخرفة الإسلامية له سمته المميزة وخصائصه

الفريدة التى تضفى عليه جمالا ورونقا يميزه عما عداه من طرز ، ولذلك صممت الزخرفة بالتوسعة بحيث تحقق هذا الجانب الجمالى من ناحية ، ومن ناحية أخرى ليتم التناسق مع نظائرها بالتوسعة السعودية الأولى . كما شملت هذه العمارة والتوسعة أعمالاً كهربائية حديثة متقدمة مثل : الإنارة ومكبرات الصوت ونظام التحكم « الأوتوماتيكى » والتمديدات والكابلات والمحولات ولوحات المفاتيح ، وشبكات التوزيع ونظام الكشف عن الحريق بالدور السفلى - السرداب - ومصدر التغذية بالطاقة فى الحالات الطارئة ، بالإضافة إلى نظام تلفزيونى ذى دوائر مغلقة يغطى جميع أجزاء المسجد والساحات الخارجية .

كما شملت أعمالاً ميكانيكية مثل : تمديدات المواسير لمياه نوافير الشرب ولمياه الأمطار والصرف الصحى والتهوية ، ونظام مكافحة الحريق بالإضافة إلى مضخات المياه وأعمال تلطيف الهواء .

ثانيًا : تطوير المنطقة المحيطة بالمسجد ومواقف السيارات :

يتضمن المشروع أعمال تطوير المنطقة المحيطة بالمسجد النبوى الشريف وتشييد مواقف للسيارات تحت الأرض ، وربطها بشكل مناسب ببقية أجزاء المدينة .

وتشمل عناصر هذا التطوير : ساحات الصلاة المحيطة بالمسجد ، والطرقات، ومواقف السيارات ، والمرافق التجارية والحكومية والمواضئ ودورات المياه.

تحسين الساحات : وتبلغ مساحتها المحيطة بالمسجد (٢٣٥,٠٠٠) متر مربع وسوف تغطى بالرخام ، لاستخدام قسم منها للصلاة أيام الجمع والمواسم، وفى حالة استخدام كافة الساحات تصبح الطاقة الاستيعابية لكامل المسجد والساحات المحيطة به تزيد عن (٦٥٠,٠٠٠) مصل.

مواقف السيارات : وتتكون من دورين تبلغ مساحتهما الإجمالية حوالى (٣٩٠,٠٠٠) متر مربع ، تستوعب (٤٠٠٠) موقف للسيارات ، ويقسم كل دور من أدوار مواقف السيارات إلى (١١) وحدة ، يفصل بينها مناطق الخدمات

العامة والمرافق ، هذا وتتصل المواقف بالساحات العامة بواسطة مداخل ومخارج تؤمن الحركة السهلة للمشاة فيما بينها، وتحوى هذه (٥٦) سلما متحركا (٢٨) سلما للصعود ، و(٢٨) سلما للهبوط إضافة إلى (٢٨) سلما عاديا تؤمن الوصول إلى مواقف السيارات ، كما يوجد أيضا (٦٨٠٠) وحدة وضوء و(٢٥٠٠) دورة مياه و(٥٦٠) منهل شرب فى مناطق الخدمات والمرافق ، إضافة إلى غرف الأعمال الكهربائية والميكانيكية والمكاتب اللازمة .

شبكات الخدمات : شبكات متكاملة لتوزيع المياه والصرف الصحى فى أوقات العمرة والحج ورمضان، فيزيد استيعاب الحرم ليصل إلى أكثر من مليون مصل ليسع أكبر عدد متوقع من الزوار والمصلين، كما يشمل المشروع ، نظامًا لتصريف مياه الأمطار ، كما يتضمن نظام تهوية خاص ، إضافة إلى نظام متكامل للأمان والإنذار والوقاية من الحرائق ، وتستخدم الأنظمة التى سبق ذكرها حوالى (١٥,٣٧٠) مضخة ، و (٢٩٠) خزانا للمياه.

مراقبة حركة السيارات : وتتم بواسطة أجهزة المراقبة التليفزيونية ، حيث تحوى المواقف كاميرات ثابتة وأخرى متحركة ونظام تحكم بالمرور لتوجيه السيارات ومخاطبة الجمهور بالمواقف والمداخل والمخارج.

ثالثا : الأعمال الميكانيكية والكهربائية ونفق الخدمات:

وشملت هذه الأعمال ما يأتى:

محطة التكييف : لقد تم إنشاء محطة تكييف على موقع مساحته (٧٠,٠٠٠) متر مربع لتأمين الهواء في الحرم النبوى الشريف بطريقة المياه الباردة ، وتقع المحطة على بعد حوالى سبعة كيلو مترات غرب المسجد النبوى الشريف، وتتألف من عدة مبان تبلغ مساحتها حوالى (١١,٠٠٠) متر مربع، وتتضمن الأعمال إنشاء أنظمة تصريف مياه الأمطار والصرف الصحى ومكافحة الحريق وعددها ست ماكينات تبريد ،كما يتضمن مشروع المحطة سبع مضخات لدفع الماء البارد . وهذه

المحطة بكامل طاقتها تغذى الطابق السفلى ـ السرداب ـ والذى تبلغ مساحته (٧٣٥٠٠) متر مربع، صمم خصيصًا ليضم معظم أعمال المشروع الكهربائية والميكانيكية، حيث بلغ عدد الماكينات الخاصة بأعمال تكييف الهواء (١٤٣) مكينة لتكييف الدور الأرضى الرئيس، بالإضافة إلى تكييف مبنى التوسعة الجديد.

نفق الخدمات : يتم دفع المياه المبردة من محطة التبريد إلى ماكينات التهوية فى سرداب المسجد النبوى الشريف عن طريق إحدى أنبوبتين ، قطر كل منهما (٩٠٠) ملم، موجودتين فى نفق الخدمات الذى يبلغ ارتفاعه أربعة أمتار وعرضه ستة أمتار ، أما طوله فحوالي سبعة كيلو مترات ويمر نفق الخدمات تحت نفق المناخة ليصل إلى سرداب المسجد حيث يتصل بمعدات التهوية، كما تم إنشاء مبنى المولدات الكهربائية الاحتياطية ضمن المحطة المركزية ، ويشتمل هذا المبنى على ثمانى مولدات.

مجرى الكابلات : ويقع بمحاذاة نفق الخدمات بضغط متوسط بقوة (١٣,٨) كيلو فولت، يمرر فيه «٩أنابيب» لاستخدامها فى تمرير كابلات الكهرباء القادمة من مبنى مولدات الطوارئ .

محطة التوليد الاحتياطية : يحوى مبنى محطة التوليد خمس مولدات طاقة، كل منها (٢,٥) ميقاوات كهرباء ، ويتم إدخال نظام تحكم « أوتوماتيكى» للسيطرة على جميع الأنظمة الميكانيكية والكهربائية بالمحطة .

توسعة الحرم النبوى الشريف عبر التاريخ :

لعل الجدول الإحصائى التالى يوضح لنا الجهود المباركة عبر العصور الإسلامية المتعددة فى سبيل إعمار المسجد النبوى الشريف وتوسعته .

النـــــــوع	قبل التوسعة السعودية الأولى	بعد التوسعة السعودية الأولى	بعد توسعة خادم الحرمين الشريفين
مساحة عمارة المسجد بالمتر المربع	١٠,٣٠٠	١٦,٥٠٠	٩٨,٥٠٠
مساحة السطح المستخدم للصلاة بالمتر المربع	–	–	٦٧,٠٠٠
مساحة الساحات المحيطة بالمسجد بالمتر المربع	–	–	٢٣٥,٠٠٠
عدد المصلين	١٧,٠٠	٢٨,٠٠٠	٦٥٠,٠٠٠
عدد المآذن	٥	٤	١٠
ارتفاع المآذن بالمتر	٦٠	٧٢	١٠٥
عدد مواقف السيارات تحت الأرض	–	–	٤٠٩٦
عدد المواضئ	–	–	٦٨٠٠
عدد دورات المياه	–	–	٢٥٠٠
عدد الأدراج	–	–	١٨
السلالم المتحركة	–	–	٠٤
تكييف هواء المسجد	–	–	محطة مركزية تبعد سبعة كيلو مترات عن المسجد وتزيد طاقاتها عن ٢٥,٠٠٠طن

القباب المتحركة :

يوجد به عدد من القباب، ولعل الجدول الإحصائى الآتى يعطى الصورة الحقيقية عنها :

النـــــوع	بيـــانـــات
العـــــدد	٢٧ قبة
مقاس القاعدة	١٨,٦ مترا × ١٨,٦ مترا
وزن القبة الإجمالى	٨٠ طنًا

المعالم الرئيسة لكل قبة:

١ ــ الهيكل الفولاذى.

٢ ــ الوجه الداخلى.

٣ ــ الوجه الخارجى.

٤ ــ المواد العازلة للحرارة .

٥ ــ المواد العازلة للماء.

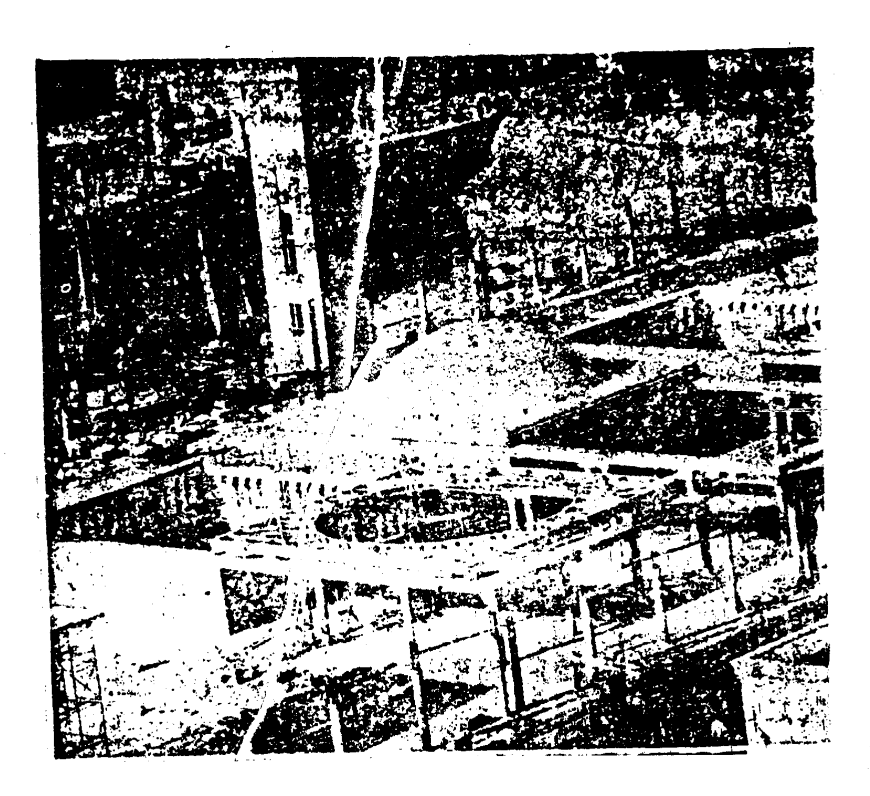
٦ ــ نظام تحريك القبة .

٧ ــ رأس القبة الذهبى .

٨ ــ الحجر الصناعى لقاعدة القبة .

٩ ــ نظام التحكم بحركة القبب بواسطة «كمبيوتر» مركزى أو باليد .

هذه سطور مشرقة فى تاريخ الأمة تبقى على مر الأيام تحكى للأجيال مسيرة العناية والاهتمام فى أعز ما لديها من تاريخ وتراث .



القبة المتحركة قبل وضع الطبقة الخارجية عليها والمكونة من سيراميك ألمانى

(الوجه الخارجى والقاعدة)

تطور الأنظمة السعودية

عاد الملك عبد العزيز رحمه الله إلى الرياض فاتحا بعد أن غادرها لاجئا، وهو لا يزال فى سن مبكرة أقرب إلى الطفولة منها إلى الشباب.

لم يذق عبد العزيز للطفولة طعما كغيره من أقرانه ، فكان مع حداثة سنه يشاطر أباه همومه ، فكان كثير التفكير والتطلع إلى يوم العودة، لا يشغل نفسه بشيء سوى التفكير فى كل وسيلة تساعده على استعادة عاصمة أبيه وأجداده.

كان شديد الحرص على تلقى القادمين من نجد ، كثير الاعتناء بهم مكرمًا لهم مصغيًا لما ينقلونه لوالده من أخبار الرياض التى كانت تعيش فى وجدانه.

وكان عبد العزيز يشارك فى أحلامه وتطلعاته إخوانه وأبناء عمومته، الذين كانوا مثله أطفالا عند مغادرتهم الرياض .

لقد كبر الصغار وتجاوزوا مرحلة الأحلام إلى مرحلة رسم الخطط والعمل والتطبيق تمهيدًا لسبيل العودة، فهذا هو عبد العزيز ومحمد وسعد أبناء الإمام عبد الرحمن، وها هو عبد الله بن جلوى وعبد العزيز بن مساعد بن جلوى أبناء عمومته وغيرهم من شباب أسرة آل سعود، هاهم جميعًا قد كبروا فى السن وأصبحوا قادرين على حمل السلاح .

ولم تعد الكويت تتسع لفتية عز عليهم البقاء بعيدًا عن الرياض، مسقط رؤوسهم، ومصدر عزهم، ومحط آمالهم ، وقاعدة حكم آبائهم وأجدادهم.

وأثناء سنوات المنفى فى الكويت لم يضيع عبد العزيز وقتًا للتفكير فى أى شيء عدا التفكير فى وطنه، وفى إعداد نفسه عسكريا وسياسيا للدور العظيم الذى ينتظره.

وكانت الكويت أثناء سنوات إقامة عبد العزيز بها عبارة عن جامعة مفتوحة لكل التيارات والتطورات السياسية الإقليمية والدولية ، فلم يترك عبد العزيز فرصة أو حادثة تمر إلا واستغلها للاستفادة منها ليوم العودة.

فلقد كانت الكويت مع صغر حجمها مسرحًا لصراع الامبراطوريات، حيث بلغ الصراع البريطانى العثمانى ذروته ، وهو استمرار لصراع القوة التقليدية ذات المصالح المشتركة فى الخليج، كما دخلت المنطقة مرحلة صراع دولى أكبر، حيث ولجت كل من ألمانيا وروسيا حلبة الصراع من أجل المصالح وبسط النفوذ فى المنطقة هذا على المستوى الدولى . . !!

أما على المستوى المحلى فلقد شهد عبد العزيز صراع الحكام من آل الصباح على السلطة ، وشهد كيف خرج الشيخ مبارك من هذا الصراع مستحوذًا بشكل كامل على مقاليد الأمور فى الكويت ، وكيف جرَّه هذا الصراع مع قوى مختلفة داخل الكويت وخارجها، حيث وظف الشيخ مبارك الداهية كل مهاراته وحنكته السياسية للاستفادة من الصراع الدولى لصالحه.

كان عبد العزيز بما منحه الله من موهبة فطرية وعقل راجح وبعد نظر ، وهى خصال نمت معه منذ نعومة أظفاره ، قد استفاد فائدة كبيرة مما كان يدور فى الساحة الدولية من صراعات، انعكست فيما بعد بظلالها على مجريات الأحداث فى الجزيرة العربية .

وكان الموقف الدولى حين ذاك يتجه نحو الانفجار الكبير الذى نجم عن اندلاع الحرب العالمية الأولى فيما بعد، مؤذنا باختفاء امبراطوريات وقيام أخرى، والعالم أصبح لا محالة بصدد تشكيل خارطة سياسية جديدة.

وإذا كان عبد العزيز قد رصد رصدًا جيدًا التطورات السياسية على المستوى الدولى، فإن رصده لأوضاع الجزيرة العربية بكل ما كانت تموج به من تخبطات سياسية وصراعات قبلية ، لم يكن يقل عما أولاه من اهتمام لمتابعة التطورات

الدولية.

ولهذا فإن عبد العزيز ساعة انطلاقته لإعادة بناء دولة أسلافه ، كان عارفا ومدركًا لكل ما يدور حوله.

إن فتح الرياض الذى يعتبر بكل المعايير العسكرية والاقتصادية والسياسية مغامرة، لا يقدم عليها إلا من هو من طراز عبد العزيز ، حيث كان لتلك المغامرة الجريئة الشجاعة دوى هائل هز كل أرجاء نجد، وأكسبت القائم بها احترام كل سكانها حاضرة وبادية ، وإن لم يكن احتراما فخشية ووجلا ، فاستجابت لصدى هذا الحدث التاريخى معظم القبائل التى قدرت فى عبد العزيز الشجاعة والإقدام،وهم أقوام لا يبهرهم فى القائد إلا إقدامه وشجاعته.

أما سكان الحواضر فقد رأوا فى عبد العزيز المنقذ المنتظر لما كانت عليه أحوال بلادهم السياسية والأمنية والاقتصادية من تردٍ.

ولم تكن نشوة النصر بفتح الرياض مع الأهمية البالغة والقصوى لذلك الحدث لتلهى عبد العزيز عن الشروع فى التخطيط السريع للخطوات القادمة ، فنراه يسارع إلى ضم كل مدن جنوب نجد وقراها التى استقبلته أهلها بالأحضان، وهى الخرج والحوطة والحريق والحلوة والسليمة وغيرها، وهى فى مجموعها تشكل العمق الاستراتيجى والاقتصادى لمدينة الرياض ، وتحتل هذه البلدان المعروفة بصلابة رجالها وخصوبة أراضيها أهمية كبرى للمواجهة القادمة بين عبد العزيز وخصومه.

ثم أتبع عبد العزيز ذلك بضم القصيم ، ولضم القصيم قبل غيره دلالات كبرى ؛ فهى أكثر البلدان قربًا من عرين خصمه ابن الرشيد الذى كان قد رمى بكل ثقلة إلى جانب العثمانيين، وعلق آمالا عراضا على فعالية تأييدهم ونجدتهم له، لاسيما بعد أن أدركت بلدان نجد وقبائلها تواصل انضمامها واحدة تلو الأخرى إلى جانب عبد العزيز، وهذا دليل قاطع على صلابة الأرض التى ينطلق منها

عبد العزيز.

ووقعت المواجهة بين عبد العزيز وخصمه ابن الرشيد وحلفائه العثمانيين فى منطقة القصيم ، فدارت الدائرة على ابن الرشيد وحلفائه ، فكان لذلك الحدث صدى كبير لدى القوى السياسية داخل الجزيرة العربية وخارجها ، وكانت نتائج ذلك النصر الذى أبدى فيه عبد العزيز إلى جانب مهارته الحربية بعد نظر سياسى، مما جعله مكان احترام الخليفة العثمانى نفسه والمخلصين من رجال دولته، كما زاد من مهابة عبد العزيز فى عيون خصومه الظاهر منهم والمستتر ،ومهد له ذلك الانتصار طريق الوصول إلى الهدف الثانى فى برنامج بسط سلطانه على المناطق الشرقية والاستيلاء على قاعدتها بلدة الإحساء ، التى بضمها يتحقق له هدفان هامان ، الأول: اقتصادى ، والثانى : استراتيجى ، وكان يدرك أن استيلاءه على تلك المنطقة الهامة سيجعله فى مواجهة مع قوى كبرى لها نفوذ تقليدى فى هذه الجهات ، بيد أنه كان قد جعل لكل أمر حيطته، فلقد جاء استيلاء عبد العزيز على الأحساء عام ١٣٣٣هـ الموافق ١٩١٣م بعد هزيمته للأتراك فى القصيم وفشل الشريف الحسين بن على واليهم على الحجاز فى أول وآخر مغامرة له قام بها ضد نجد ممثلة فى حملته عام ١٩١٠م ، حيث كان قد وعد الأتراك بأن حملته تلك ما هى إلا محاولة للاقتصاص من هازم العثمانيين فى القصيم.

والحسين يعلم وكذلك السلطات العثمانية أنه لم يقم بحملته تلك إلا محاولة لإطفاء توهج ذلك النجم الساطع فى سماء نجد الذى بظهوره يعيد إلى الأذهان صوراً كثيرة من تاريخ حافل سطره أجداد ذلك الفتى النجم لم يجف مداده بعد.

لم يواجه عبد العزيز صعوبة فى فتح الأحساء حيث آثر العثمانيون الانسحاب بهدوء بفضل تسهيلات عبد العزيز لهم، وذلك حين أدرك عقلاء بنى عثمان بأن شمس نفوذهم فى الخليج غاربة لا محالة ، فإذا كان الأمر كذلك فعبد العزيز أولى بتقلد مقاليد السلطة منها.

أما القيادات الشعبية فى الإحساء والقطيف فقد أعلنت ترحيبها بعبد العزيز، وقدمت له فروض الولاء والطاعة.

وأدركت بريطانيا خطورة تنامى قوة عبد العزيز أكثرمن ذى قبل ، فنشطت حكومة الهند البريطانية فى إعادة رسم سياستها فى التعامل مع عبد العزيز السيد الجديد، الذى خلف العثمانيين على حكم ما كان يعرف بسنجق الإحساء، المحاط بدائرة النفوذ البريطانى، وأصبحت مضطرة للتعامل معه كجار وصاحب دار مختلف كل الاختلاف عن السلطة السابقة.

وكانت بريطانيا فيما قبل ترفض إجراء أى محادثات مع عبد العزيز، رغم محاولات الإقناع التى قام بها بعض رجالاتها العارفين بتطور العلاقات السعودية البريطانية ليدفعوا بريطانيا لتوقيع اتفاقيات بين الطرفين أملتها ضرورة الجوار وتشابك المصالح التى بلغت ذروتها أثناء قيام الحرب العالمية الأولى، وكانت بريطانيا تعتقد أنها ستنجح فى إقناع عبد العزيز كما نجحت فى إقناع غيره من حكام المنطقة فى الانحياز إلى جانبها ضد الدولة العثمانية التى انحازت إلى جانب ألمانيا.

بل ذهبت ألمانيا وبريطانيا بعيدا، إمعانا فى محاولة إقناعه بما عرضتا عليه من ترشيح نفسه خليفة للمسلمين بدلا من الخليفة العثمانى الذى بدا نجمه آيلا إلى الأفول ، إلا أن عبد العزيز بما أوتى من حكمة وعقل كبير يزن به الأمور ليس ممن تنطلى عليه الخدع، ولا من الذين ينخدعون وراء الوعود، ولا من الذين يرسمون مستقبلهم السياسى ومستقبل مصير بلادهم على الأوهام والخيالات ، فلقد كان يتعامل مع الأمور والأشياء بواقعية ولا يغر بالوعود الزائفة، ورفض العرض البريطانى وهو الانحياز إلى جانبها ضد تركيا.

ولكنه فى الوقت نفسه لم ينحز إلى جانب تركيا وآثر الوقوف على الحياد ، مع العلم أنه يعرف موقف الدولة العثمانية المؤيد لخصمه ابن الرشيد .

وبينما كانت القوى تتصارع والأتباع يحاربون إلى جانب من انحازوا إلى جانبه

من القوى الكبرى، مخدوعين بالوعود الزائفة ،كان عبد العزيز منهمكا فى ترسيخ قواعد حكمه فى الأراضى التى أصبحت تحت سيطرته وتوسيع دائرة نفوذها فى المناطق الأخرى.

وما أن وضعت الحرب أوزارها وانتهت بهزيمة ألمانيا وحليفتها الدولة العثمانية، حتى وجد حلفاء العثمانيين أنفسهم وحيدين ضعفاء لا يستطيعون الصمود أمام قوة عبد العزيز التى أصبحت راسخة.

هذا ولم يكن حلفاء بريطانيا بأحسن حالاً من حلفاء الدولة العثمانية ، فلقد تكشف لهم بأن وعود بريطانيا لهم لم تكن إلا وعوداً وقتية أصلها مصلحتها فقط لما يخدم أهدافها أثناء الحرب.

ولكن ها هى الحرب قد انتهت فى صالحها ولم تعد ترى هناك ضرورة إلى الاستمرار فى دعم تلك الأنظمة وأصبحت ترى أيضا أنها غير ملزمة بتنفيذ كل وعودها ؛ لأن فى ذلك ما يتعارض مع مصلحتها، وأصبحت تنظر إلى أن ما كان دائرًا على ساحة الجزيرة العربية من صراع بين القوى المختلفة ما هو إلا صراعات داخلية . وليست بريطانيا بمستعدة فى الدخول فى أتون ذلك الصراع الداخلى بهدف نصرة طرف على آخر وتركت تقرير مصير الجزيرة العربية وما كان يدور على أرضها من صراع لأبنائها فهم الذين يقررون مصيرها . . . وهو أمر على غير عادة بريطانيا، وكأنها بذلك تقول: إن البقاء للأصلح ، ولكنها لم تتخل عن استمرارها فى حماية أصدقائها التقليديين فى منطقة الخليج ، وربما لاحبًا فيهم ولا وفاء لهم ولكن خدمة وحفظًا لمصالحها الدائمة فى هذه المنطقة الهامة والغنية بمخزونها البترولى، وتأمينًا لسلامة طرق مواصلاتها مع أهم ممتلكاتها فى شبه القارة الهندية.

ومن هنا ، وعلى أثر ما تركه انهيار الدولة العثمانية من فراغ، تحرك عبد العزيز باتجاه منطقة عسير ، وذلك استجابة لبعض القيادات الوطنية هناك المتطلعة إلى تحقيق وحدة وطنية شاملة ، وإدراكًا من عبد العزيز بأهمية هذه المنطقة

استراتيجيا واقتصاديا وبشريا فى بناء دولة المستقبل، فلم يضيع وقتًا للتفكير فى استجابته للنداء، فكان لضم منطقة عسير فى عام ١٩١٩م - ١٩٢٠ م نتيجتان هامتان: الأولى: تحجيم قوة الأشراف فى الحجاز وتشديد الخناق عليها من الخلف، والثانية: توقيع اتفاقية مع السيد محمد بن على الإدريسى فى صبياء الذى أصبح مستقبل إمارته فى مهب الريح، بعد أن تخلت بريطانيا عن وعودها له بإقامة دولة له فى تهامة عسير ... ولكن بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى استغنت بريطانيا عن خدمات السيد الإدريسى ، حيث شعر السيد بالمخاطر التى كانت تواجهه من الهاشميين فى الحجاز والزيديين من اليمن، لذلك سارع إلى توقيع اتفاقية مع الملك عبد العزيز الذى أصبح سيد عسير السراه .

وعسير سراتها وتهامتها منذ الأزل وحدة سياسية لا تنفصل .

وما لبث الاتفاق بين الملك عبد العزيز والسيد الإدريسى أن تطور فيما بعد إلى حماية، أى دخول بلاد الإدريسى تحت حماية الملك عبد العزيز، ثم إلى ضم كامل فيما بعد ضمن الكيان الوحدوى الكبير.

ومن أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال ، أى من عسير إلى حائل ، تحرك عبد العزيز سريعًا للانقضاض على خصمه التقليدى أمير حائل، الذى أصبح حكمه منذ معركة روضة مهنا فى حكم المنتهى، وبذلك أصبحت نجد وعسير والمنطقة الشرقية منذ حكمه منضوية تحت نفوذ عبد العزيز.

ومن ثم تفرغ للحجاز الذى كان النظام به عاجزاً وغير قادر على البقاء كآخر وأهم مرحلة فى سلسلة مراحل التوحيد ، وباستيلاء الملك عبد العزيز على الحجاز توج بذلك العمل الخالد أعظم وحدة سياسية تشكلت فى وطننا العربى، فكانت نموذجًا وحدويًا رائداً فى تاريخنا العربى الحديث.

قراءة إسلامية للأنظمة
فى المملكة العربية السعودية

القرارات والأفكار التاريخية الكبيرة لا تكتمل لتلامس الواقع ولتتبوأ مكانتها اللائقة بها إلا بالتجربة العملية لتطبيقها ،فتظل الأفكار والقرارات دائما مجرد طرح وتعبير عن آمال لم تنفذ بالفعل . . . والأمم العريقة هى التى تنفذ قرارات زعمائها أو تجعل من التطبيق العملى لأفكار هؤلاء الزعماء نموذجًا يحتذى به بين الأمم والشعوب ونقطة ضوء فى تاريخها الطويل.

ولقد ضرب الشعب السعودى المثل فى ذلك منذ لحظة ولادة الأنظمة الجديدة التى أعلنها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ، والتى تمثل نقطة إشعاع مهمة فى المجتمع السعودى كنموذج للمجتمع الإسلامى من خلال الممارسة والتطبيق والاقتناع بجدوى أسلوب خطوات التطوير الطبيعى والسلمى ؛ وصولاً إلى تحقيق الأفضل والأكثر ملاءمة لمتطلبات الواقع ورغبات المخلصين ، مع ترك الباب مفتوحًا أمام أى تعديل تتطلبه ظروف المراحل المقبلة فى ضوء التجربة على أساس المبدأ القائل:

إنه ليس هناك شىء نهائى فى النصوص القانونية. وعملاً بالقاعدة الشرعية: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى : ٣٨] .

ومنذ إقرار الأنظمة السعودية الجديدة ، وهى النظام الأساسى للحكم ونظام مجلس الشورى ،ونظام المناطق،فقد بدت علامات الترحيب على كافة الأصعدة والمستويات بالأنظمة الجديدة واستقبالها بسرور وارتياح؛ لأنها قننت الأعراف المتبعة منذ وقت طويل ، وحددت أطر الحقوق والواجبات فى نص مكتوب واضح ،

وأوضحت الصلاحيات والسلطات وهى أمور مهمة لم تأت من فراغ ،ولكنها كانت بحاجة إلى مرجع يلجأ إليه المواطن والمسؤول ليعرف ما له وما عليه ؛ ويحدد الجهة التى يتوجه إليها لأخذ حقوقه، والبت فى أى تجاوز أو تجاهل لأية مادة من المواد الواردة فى الجهة من قبل الهيئة الدستورية ، أو المحكمة الدستورية التى عليها أن تبت فى شرعية أى قانون أو قرار أوإجراء، وفى مدى مطابقته لموادّ الأنظمة المعلنة .

كما تستدعى أيضًا هيئة خاصة لتفسير المواد ؛ لأن كل مادة منها تحتاج إلى أطر قانونية وإجرائية تحدد سبل تنفيذها ومعانيها وفهم ما يسمى بروح القانون ، أو روح النظام حسب الاصطلاح المعروف فى القانون الدستورى فى الدول الأخرى.

وتبقى هذه القراءة للأنظمة السعودية الجديدة مهمة جدًا فى هذه المرحلة بالذات؛ لأنها جاءت فى الوقت المناسب حيث يشهد العالم كله ،والعالم العربى جزء منه ، متغيرات كبرى ، وعمليات واسعة لإعادة النظر فى كثير من الأمور السائدة حتى تتماشى مع روح العصر والاتجاه العالمى الجديد نحو صيانة الحريات وحماية حقوق الإنسان .

والإيجابية المهمة فى الأنظمة الجديدة التى بادر الملك فهد بإعلانها تنفيذًا لوعد قطعه على نفسه ، أنها جاءت بعد دراسة متأنية استغرقت وقتًا طويلاً لتكون ملائمة للواقع، وتتجنب الانزلاق إلى مهالك الطفرات، والقفز فى الهواء نحو المجهول.

لقد أكدت الأنظمةُ الثوابت السعودية الراسخة منذ اليوم الأول لإعلان التوحيد وقد وضح أن أساسها هو التمسك بالعقيدة الإسلامية وحتمية الانتماء للأمة العربية والإسلامية ، وهو ما ورد فى عدد كبير من المواد، بدءا من المادة الأولى التى تنص على أن المملكة العربية السعودية دولة عربية إسلامية ذات سيادة، دينها الإسلام ودستورها كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ .

كما ورد فى المادة السابعة أن الحكم فى المملكة يستمد سلطته من كتاب الله

تعالى وسنة رسوله، وهما الحكمان على هذا النظام وجميع أنظمة الدولة .

وفى المادة الثامنة ورد النص بقيام الحكم على أساس العدل والشورى والمساواة وفق الشريعة الإسلامية .

ويتوالى هذا التأكيد فى جميع المواد حتى يصل إلى تحديد مجال عربى أرحب على مستوى خدمة الأمة كلها حيث ورد فى النظام الأساسى (المادة ٢٤) نص صريح يلزم الدولة بإعمار الحرمين الشريفين وخدمتهما، وتوفير الأمن والرعاية لقاصديهما بما يمكن من أداء الحج والعمرة والزيارة بيسر وطمأنينة ،وهو ما كانت تقوم به باقتدار بشهادة كل مسلم، خاصة بعد الإنجازات الرائعة التى تحققت من خلال مشروع خادم الحرمين الشريفين لتوسعة الحرمين، ولكنها ألزمت نفسها بنص مكتوب بتحميل مسؤوليات وتكاليف هذا العمل العظيم ، الذى يهدف لخدمة الإسلام والمسلمين .

وفى خط مواز نجد فى المادة الخامسة والعشرين نصًا آخر ملزمًا حول شرف الانتماء للأمة العربية والقيام بخدمتها جاء فيه :

تحرص الدولة على تحقيق آمال الأمة العربية والإسلامية فى التضامن وتوحيد الكلمة . وهذه خطوة مهمة نأمل أن تعم فى مختلف الدساتير العربية حتى تصبح نبراسًا للعمل العربى وطريقًا لا يمكن الانحراف عنه وهو طريق التضامن وتوحيد الكلمة، بالتالى طريق تجاوز المحن الحالية التى تمر بها الأمة والانطلاق نحو تحقيق الأهداف السامية .

وفى النظام الأساسى للحكم فى المملكة العربية السعودية الذى يعد بمثابة الدستور مواد كثيرة ملفتة للنظر، لاسيما بالنسبة لصيانة حقوق المواطن ورعايته ، وحماية الملكية الخاصة وكفالة حريتها من قبل الدولة ، وحظر المصادرة العامة للأموال ، وعدم فرض الضرائب والرسوم إلا عند الحاجة ،وتوثيق أواصرالأسرة

ورعاية جميع أفرادها ،وتعزيز الوحدة الوطنية ، وكفالة حق المواطن وأسرته فى حالة الطوارئ والمرض والعجز والشيخوخة ، ودعم نظام الضمان الاجتماعى ، ورعاية العلوم والآداب والثقافة والبحث العلمى، وصيانة التراث الإسلامى العربى، وتوفير التعليم العام ، وسن الأنظمة التى تحمى العامل وصاحب العمل ، وتوفير فرص العمل لكل قادر عليه ، وتأمين الرعاية الصحية لكل مواطن .

إلا أن أكثر ما يلفت الانتباه هو تركيز النظام الأساسى للحكم على الحريات ، حتى وصفه شاب مثقف بأنه وثيقة لحقوق الإنسان وصيانة الحريات العامةأو «ماجنا كارتا» العصر الراهن ؛ لأنها حددت عدة مواد واضحة يمكن أن يرجع إليها أى إنسان فى أى وقت ليذكر رقمها عند الحاجة ويطالب بحقه ، ومن هذه المواد:

ـ «٢٦»: تحمى الدولة حقوق الإنسان ، وفق الشريعة الإسلامية.

ـ «٣٦»: توفر الدولة الأمن لجميع مواطنيها والمقيمين على إقليمها ، ولا يجوز تقييد تصرفات أحد ، أو توقيفه ، أو حبسه ،إلا بموجب أحكام النظام.

ـ «٣٧»: للمساكن حُرمتها ، ولا يجوز دخولها بغير إذن صاحبها ، ولا تفتيشها إلا فى الحالات التى بينها النظام .

ـ «٣٨»: العقوبة الشخصية ، ولا جريمة ولا عقوبة إلا بناء على نص شرعى، أو نص نظامى، ولا عقاب إلا على الأعمال اللاحقة للعمل بالنص النظامى.

ـ «٤٠» : المراسلات البرقية والبريدية ،والمخابرات الهاتفية ، وغيرها من وسائل الاتصال مصونة ، ولا يجوز مصادرتها أو تأخيرها أوالاطلاع عليها أو الاستماع إليها إلا فى الحالات التى يبينها النظام .

والملفت أيضًا أن النظام الأساسى لم يحدد كيفية ممارسة العمل الإعلامى وحدود حديثه ،ولم يسهب فى هذه النقطة بالذات ، ولكنه حدد فى مادته التاسعة والثلاثين الإطار العام لوسائل الإعلام والنشر وجميع وسائل التعبير ، وهو إطار

واسع قد يشمل أيضا الوسائل غير الإعلامية من منابر وأمكنة عامة وشرائط وغيرها ، حيث إن عليها أن تلتزم ،بالكلمة الطيبة وبأنظمة الدولة وتسهم فى تثقيف الأمة ودعم وحدتها ، ويحظر عليها القيام بما يؤدى إلى الفتنة أو الانقسام.



الشورى فى السعودية

تعدّ الشورى ركنًا أساسيًا من أركان النظام السعودى منذ قامت صورة التعاون الرائعة بين الإمامين المجاهدين محمد بن سعود ، ومحمد بن عبد الوهاب.

* وقد أولى الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود قضية الشورى اهتمامًا كبيرًا منذ أسس الدولة السعودية فى مستهل القرن الرابع عشر الهجرى (العشرين الميلادى) .

* وبعد نهاية كارثة حرب الخليج التى تسبب فيها صدام حسين (طاغية العراق) وضع الملك فهد (خادم الحرمين) اللمسات الأخيرة لنظام الشورى فى المملكة .

وقد جاء الخطاب التاريخى لخادم الحرمين الشريفين فى أول مارس ١٩٩٢ أى بعد عام واحد من انتهاء حرب الخليج ليجدد الأمل نحو مزيد من المشاركة السياسية فى المملكة العربية السعودية، وليثبت أن الأزمات الكبرى لابد أن تتلوها تغييرات كبرى... وقد وصفنا خطاب العاهل السعودى بأنه تاريخى لأسباب موضوعية ؛ فهو ينطوى على تغييرات جذرية كان يرنو إليها كثير من أبناء السعودية والأمة العربية جمعاء منذ ثلاثة عقود على الأقل ، فمنذ أول وعد رسمى باستحداث مجلس الشورى فى الستينات كان الجميع فى السعودية وخارجها يتطلعون وينتظرون أن يفى النظام السعودى بهذا الوعد وهو ما تحقق فعلا من خلال ثلاث تغييرات كبرى أعلنها العاهل السعودى. وتنطوى جميعها على توسيع المشاركة الشعبية فى السلطة واتخاذ القرار . . . وقد تجسدت هذه التغييرات الثلاث

فى إصدار ثلاث وثائق هى :

١ ــ النظام الأساسى للحكم فى السعودية .

٢ ــ نظام مجلس الشورى .

٣ ــ نظام المناطق.

لغة الخطاب السياسى السعودى :

وقبل أن نعرض لأهم محتويات الأنظمة الثلاثة لابد من التنويه ببعض خصائص لغة الخطاب السياسى السعودى الرسمى ، إذ يلاحظ أن خطاب العاهل السعودى وغيره من المسؤولين فى المملكة يتحاشى تمامًا استخدام مصطلحى الدستور والقانون حتى حينما يكون ذلك هو المقصود والمضمون ويستعيض عنهما بمصطلح « نظام » .

والحكمة فى ذلك أن السعودية تعتبر القرآن الكريم والسنة النبوية هما العماد الأعلى والأوحد والملزم للتشريع ، وكل ما عداهما أنظمة وضعية من درجة أدنى.

ويندرج تحت هذه الدرجة الأدنى الوثائق الثلاث للأنظمة الجديدة التى أعلنها العاهل السعودى فى مارس ١٩٩٢ ، هذا على الرغم من أن الوثيقة الأولى هى المقابل الوظيفى « للدستور » فى البلدان الأخرى،فهى ترسى المبادئ العامة للكيان السعودى ، ونظام الحكم ، ومقومات المجتمع السعودى ، والمبادئ الاقتصادية ، وحقوق المواطنين، والحكام، وسلطات الدولة نحو الشؤون المالية وأجهزة الرقابة.

كما أن الوثيقتين الأخريين وهما نظام مجلس الشورى ونظام المناطق هما المعادلان الوظيفيان لما يسمى فى البلدان الأخرى باسم «قانون» أو قوانين منبثقة من النظام الأساسى أى المعادل « للدستور » .

التأسيس الإسلامى لكل الأنظمة :

يلاحظ أيضا أن ديباجة الأنظمة الثلاثة الهامة التى أعلنها العاهل السعودى

تؤكد مراراً وتكراراً انبثاقها وارتكازها على الإسلام والشريعة الإسلامية ، وكل دارس للتاريخ السعودى لابد أن يفهم حكمة هذا التأكيد والتكرار المستمرين ، فمنذ نشأة الدولة السعودية الأولى (١٧٧٤م) بتحالف الداعية الإسلامى محمد بن عبد الوهاب ، وأمير نجد محمد بن سعود وشرعية الدولة تستند على هاتين الركيزتين .

وعلى الرغم من أن آل سعود هم الذين يحكمون ، فإن دعم علماء الدين لهم ضرورة سياسية لإضفاء الشرعية الدينية ، وبالتالى الشرعية المجتمعة على حكم الأسرة السعودية .

تقنين لا تغيير :

يلاحظ القارئ المتمعن للوثائق الثلاث بأنظمتها الجديدة ملمحًا آخر من ملامح الخطاب الرسمى السعودى ، وهو الإصرار على أن كل ما تنطوى عليه هذه الأنظمة ليس جديداً فى جوهره ، بل هو مجرد تقنين أو إبراز أو تنظيم لما كان موجوداً بالفعل من ممارسات ضمنية فى العلاقة بين الحاكم والمحكومين ، ولعل هذا الإصرار إنما يقصد به أن يكون درءاً للشبهات التى قد يروج أصحابها أن هذه الأنظمة الثلاثة الجديدة تنطوى على استحداث قوانين بدعية يمكن أن تدخل فى باب البدعة ، ومن المقرر أن كل بدعة فى الدين ضلالة، وكل ضلالة فى النار.

ملحق رقم ١

الخاص بأنظمة

الحكم والشورى والمنـاطـق



النظام الأساسى للحكم

أصدر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز أمرًا ملكيًا بالنظام الأساسى للحكم فيما يلى نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم أ / ٩٠ التاريخ ٢٧/٨/١٤١٢هـ.

بعون الله تعالى نحن فهد بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية ، بناء على ما تقتضيه المصلحة العامة ونظرًا لتطور الدولة فى مختلف المجالات ورغبة فى تحقيق الأهداف التى نسعى إليها ــ أمرنا بما هو آت :

أولاً : إصدار النظام الأساسى للحكم بالصيغة المرفقة بهذا .

ثانيا : يستمر العمل بكل الأنظمة والأوامر والقرارات المعمول بها عند نفاذ هذا النظام حتى تعدل بما يتفق معه.

ثالثا : ينشر هذا النظام فى الجريدة الرسمية ويعمل به اعتبارًا من تاريخ نشره.

الباب الأول : النظام الأساسى للحكم ــ المبادئ العامة :

المادة الأولى : المملكة العربية السعودية دولة عربية إسلامية ذات سيادة تامة ودينها الإسلام ودستورها كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، ولغتها هى اللغة العربية ،وعاصمتها الرياض .

المادة الثانية : عيدا الدولة هما عيد الفطر والأضحى ، وتقويمها هو التقويم الهجرى.

المادة الثالثة : يكون عَلَم الدولة كما يلى:

أ ــ لونه أخضر .

ب ــ عرضه يساوى ثلثى طوله.

جـ ــ يتوسطه كلمة «لا إله إلا الله محمد رسول الله » تحتها سيف مسلول ولا ينكس العلم أبدا .

ويبين النظام الأحكام المتعلقة به .

المادة الرابعة : شعار الدولة سيفان متقاطعان ، ونخلة وسط فراغهما الأعلى، ويحدد النظام نشيد الدولة وأوسمتها.

الباب الثانى : نظام الحكم :

المادة الخامسة :

أ ــ نظام الحكم فى المملكة العربية السعودية ملكى.

ب ــ يكون الحكم فى أبناء الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود وأبناء الأبناء ، ويبايع الأصلح منهم للحكم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ .

جـ ــ يختار الملك ولى العهد ويعينه بأمر ملكى.

د ــ يكون ولى العهد متفرغا لولاية العهد وما يكلفه به الملك من أعمال.

هـ ــ يتولى ولى العهد سلطات الملك عند وفاته حتى تتم له البيعة.

المادة السادسة : يبايع المواطنون الملك على كتاب الله تعالى وسنة رسوله وعلى السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره.

المادة السابعة : يستمد الحكم فى المملكة العربية السعودية سلطته من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ، وهما الحاكمان على هذا النظام وجميع أنظمة الدولة.

المادة الثامنة : يقوم الحكم فى المملكة العربية السعودية على أساس العدل والشورى والمساواة وفق الشريعة الإسلامية .

الباب الثالث : مقومات المجتمع السعودى :

المادة التاسعة : الأسرة هى نواة المجتمع السعودى، ويربى أفرادها على أساس العقيدة الإسلامية وما تقتضيه من الولاء والطاعة والاعتزاز به وبتاريخه المجيد.

المادة العاشرة : تحرص الدولة على توثيق أواصر الأسرة والحفاظ على قيمها العربية والإسلامية ورعاية جميع أفرادها وتوفير الظروف المناسبة لتنمية ملكاتهم وقدراتهم.

المادة الحادية عشرة : يقوم المجتمع السعودى على أساس من اعتصام أفراده بحبل الله وتعاونهم على البر والتقوى والتكامل فيما بينهم وعدم تفرقهم.

المادة الثانية عشرة : تعزيز الوحدة الوطنية واجب وتمنع الدولة كل ما يؤدى للفرقة والفتنة والانقسام.

المادة الثالثة عشرة : يهدف التعليم إلى غرس العقيدة الإسلامية فى نفوس النشء، وإكسابهم المعارف والمهارات وتهيئتهم ليكونوا أعضاء نافعين فى بناء مجتمعاتهم ، محبين لوطنهم معتزين بتاريخه .

الباب الرابع : المبادئ الاقتصادية :

المادة الرابعة عشرة : جميع الثروات التى أودعها الله فى باطن الأرض أو فى ظاهرها أو فى المياه الإقليمية أو فى النطاق البرى والبحرى الذى يمتد إليه اختصاص الدولة وجميع موارد تلك الثروات ملك للدولة وفقًا لما يبينه النظام . ويبين النظام وسائل استغلال هذه الثروات وحمايتها وتنميتها لما فيه مصلحة الدولة وأمنها واقتصادها .

المادة الخامسة عشرة : لا يجوز منح امتياز أو استثمارمورد من موارد البلاد العامة إلا بموجب نظام.

المادة السادسة عشرة : للأموال العامة حرمتها وعلى الدولة حمايتها وعلى المواطنين والمقيمين المحافظة عليها.

المادة السابعة عشرة : الملكية ورأس المال والعمل مقومات أساسية فى الكيان الاقتصادى والاجتماعى للمملكة وهى حقوق خاصة تؤدى وظيفة اجتماعية وفق الشريعة الإسلامية.

المادة الثامنة عشرة : تكفل الدولة حرية الملكية الخاصة وحرمتها ولا ينزع من أحد ملكه إلا للمصلحة العامة على أساس أن يعوض المالك تعويضًا عادلا.

المادة التاسعة عشرة: تحظر المصادرة العامة للأموال ولا تكون عقوبة المصادرة الخاصة إلا بحكم قضائى.

المادة العشرون: لا تفرض الضرائب والرسوم إلا عند الحاجة وعلى أساس من العدل، ولا يجوز فرضها أو تعديلها أوإلغاؤها أو الإعفاء منها بموجب النظام.

المادة الحادية والعشرون : تجبى الزكاة وتنفق فى مصارفها الشرعية .

المادة الثانية والعشرون : يتم تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية وفق خطة علمية عادلة.

الباب الخامس : الحقوق والواجبات:

المادة الثالثة والعشرون : تحمى الدولة عقيدة الإسلام وتطبيق شريعته وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقوم بواجب الدعوة إلى الله.

المادة الرابعة والعشرون : تقوم الدولة بإعمار الحرمين الشريفين وخدمتهما، وتوفير الأمن والرعاية لقاصديهما بما يمكن من أداء الحج والعمرة والزيارة بيسر وطمأنينة .

المادة الخامسة والعشرون : تحرص الدولة على تحقيق آمال الأمة العربية والإسلامية فى التضامن وتوحيد الكلمة وعلى تقوية علاقاتها بالدول الصديقة.

المادة السادسة والعشرون : تحمى الدولة حقوق الإنسان وفق الشريعة الإسلامية .

المادة السابعة والعشرون : تكفل الدولة حق المواطن وأسرته فى حالة

الطوارئ والمرض والعجز والشيوخة وتدعم نظام الضمان الاجتماعى وتشجيع المؤسسات والأفراد على الإسهام فى الأعمال الخيرية .

المادة الثامنة والعشرون : تيسر الدولة مجالات العمل لكل قادر عليه وتسن الأنظمة التى تحمى العامل وصاحب العمل .

المادة التاسعة والعشرون : ترعى الدولة العلوم والآداب والثقافة وتعنى بتشجيع البحث العلمى وتصون التراث الإسلامى والعربى والإنسانى، وتسهم فى الحضارة العربية والإسلامية والإنسانية .

المادة الثلاثون : توفر الدولة التعليم العام وتلتزم بمكافحة الأمية .

المادة الحادية والثلاثون : تعنى الدولة بالصحة العامة وتوفر الرعاية الصحية لكل مواطن.

المادة الثانية والثلاثون : تعمل الدولة على المحافظة على البيئة وحمايتها وتطويرها ومنع التلوث عنها.

المادة الثالثة والثلاثون : تنشئ الدولة القوات المسلحة وتجهزها من أجل الدفاع عن العقيدة والحرمين الشريفين والمجتمع والوطن .

المادة الرابعة والثلاثون : الدفاع عن العقيدة الإسلامية والمجتمع والوطن واجب على كل مواطن ويبين النظام أحكام الخدمة العسكرية .

المادة الخامسة والثلاثون : يبين النظام أحكام الجنسية العربية السعودية .

المادة السادسة والثلاثون : توفر الدولة الأمن لجميع مواطنيها والمقيمين على إقليمها ولا يجوز تقييد تصرفات أحد وتوقيفه أو حبسه إلا بموجب أحكام النظام.

المادة السابعة والثلاثون : للمساكن حرمتها، ولا يجوز دخولها بغير إذن صاحبها ولا تفتيشها إلا فى الحالات التى يبينها النظام .

المادة الثامنة والثلاثون : العقوبة شخصية ولا جريمة ولا عقوبة إلا بناء على نص شرعى أو نص نظامى، ولا عقاب إلا على الأعمال اللاحقة للعمل

بالنص النظامى.

المادة التاسعة والثلاثون : تلتزم وسائل الإعلام والنشر وجميع وسائل التعبير بالكلمة الطيبة وبأنظمة الدولة، وتسهم فى تثقيف الأمة ودعم وحدتها، ويحظر ما يؤدى إلى الفتنة أو الانقسام أو يمس بأمن الدولة وعلاقتها العامة أو يسىء إلى كرامة الإنسان وحقوقه، وتبين الأنظمة كيفية ذلك.

المادة الأربعون : المراسلات البرقية والبريدية والمخابرات الهاتفية وغيرها من وسائل الاتصال مصونة، ولا يجوز مصادرتها أوتأخيرها أو الاطلاع عليها أو الاستماع إليها إلا فى الحالات التى يبينها النظام.

المادة الحادية والأربعون : يلتزم المقيمون فى المملكة العربية السعودية بأنظمتها وعليهم مراعاة قيم المجتمع السعودى واحترام تقاليده ومشاعره .

المادة الثانية والأربعون : تمنح الدولة حق اللجوء السياسى إذا اقتضت المصلحة العامة ذلك، وتحدد الأنظمة والاتفاقيات الدولية قواعد وإجراءات تسليم المجرمين العاديين.

المادة الثالثة والأربعون : مجلس الملك ومجلس ولى العهد مفتوحان لكل مواطن ، ولكل من له شكوى أو مظلمة ومن حق كل فرد مخاطبة السلطات العامة فيما يعرض له من الشؤون.

الباب السادس : سلطات الدولة :

المادة الرابعة والأربعون : تتكون السلطات فى الدولة من:

السلطة القضائية ، السلطة التنفيذية ، السلطات التنظيمية ، وتتعاون هذه السلطات فى أداء وظائفها وفقا لهذا النظام وغيره من الأنظمة، والملك هو مرجع هذه السلطات.

المادة الخامسة والأربعون : مصدر الإفتاء فى المملكة العربية السعودية كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ويبين النظام ترتيب هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث

العلمية والإفتاء واختصاصاتها.

المادة السادسة والأربعون : القضاء سلطة مستقلة ولا سلطان على القضاء فى قضائهم لغير سلطان الشريعة الإسلامية .

المادة السابعة والأربعون : حق التقاضى مكفول بالتساوى للمواطنين والمقيمين فى المملكة ويبين النظام والإجراءات اللازمة لذلك .

المادة الثامنة والأربعون : تطبق المحاكم على القضايا المعروضة أمامها أحكام الشريعة الإسلامية وفقا لما عليه الكتاب والسنة وما يصدره ولى الأمر من أنظمة لا تتعارض مع الكتاب والسنة .

المادة التاسعة والأربعون : مع مراعاة ما ورد فى المادة الثالثة والخمسين من هذا النظام تختص المحاكم فى الفصل فى جميع المنازعات والجرائم .

المادة الخمسون : الملك أو من ينيبه معنيون بتنفيذ الأحكام القضائية .

المادة الحادية والخمسون : يبين النظام تكوين المجلس الأعلى للقضاء واختصاصاته، كما يبين ترتيب المحاكم واختصاصاتها .

المادة الثانية والخمسون : يتم تعيين القضاة وإنهاء خدمتهم بأمر ملكى بناء على اقتراح من المجلس الأعلى للقضاء وفقا لما يبينه النظام .

المادة الثالثة والخمسون : يبين النظام ترتيب ديوان المظالم واختصاصته.

المادة الرابعة والخمسون : يبين النظام ارتباط هيئة التحقيق والادعاء العام وتنظيمها واختصاصاتها.

المادة الخامسة والخمسون : يقوم الملك بسياسة الأمة سياسة شرعية طبقًا لأحكام الإسلام، ويشرف على تطبيق الشريعة الإسلامية والأنظمة والسياسة العامة للدولة وحماية البلاد والدفاع عنها .

المادة السادسة والخمسون : الملك هو رئيس مجلس الوزراء ويعاونه فى أداء مهامه أعضاء مجلس الوزراء وذلك وفقًا لأحكام هذا النظام وغيره من الأنظمة،

ويبين نظام مجلس الوزراء صلاحياته فيما يتعلق بالشؤون الداخلية والخارجية وتنظيم الأجهزة الحكومية والتنسيق بينها ، كما يبين الشروط اللازم توافرها فى الوزراء وصلاحياتهم وأسلوب مساءلتهم وكافة شؤونهم ويعدل نظام مجلس الوزراء واختصاصته وفقا لهذا النظام.

المادة السابعة والخمسون :

أ ــ يعين الملك نواب رئيس مجلس الوزراء والوزراء الأعضاء بمجلس الوزراء ويعفيهم بأمر ملكى.

ب ــ يعتبر نواب رئيس مجلس الوزراء والوزراء الأعضاء بمجلس الوزراء مسؤولين بالتضامن أمام الملك عن تطبيق الشريعة الإسلامية والأنظمة والسياسة العامة للدولة.

جـ ــ للملك حق حل مجلس الوزراء وإعادة تكوينه .

المادة الثامنة والخمسون : يعين الملك فى مرتبة الوزراء ونواب الوزراء ومن فى المرتبة الممتازة ، ويعفيهم من مناصبهم بأمر ملكى وذلك وفقًا لما يبينه النظام ، ويعتبر الوزراء ورؤساء المصالح المستقلة مسؤولين أمام مجلس الوزراء عن الوزارات والمصالح التى يرأسونها.

المادة التاسعة والخمسون : يبين النظام أحكام الخدمة المدنية بما فى ذلك المرتبات والمكافآت والتعويضات والمزايا والمعاشات التقاعدية .

المادة الستون : الملك هو القائد الأعلى لكافة القوات العسكرية وهو الذى يعين الضباط وينهى خدماتهم وفقًا للنظام.

المادة الحادية والستون : يعلن الملك حالة الطوارئ والتعبئة العامة والحرب نتيجة تحرياتها وله إنشاء لجان للتحقيق على ضوء ذلك والبت فى النتيجة مع مراعاة ما تقضى به الأنظمة واللوائح.

الشؤون المالية :

المادة الثانية والستون : لا يجوز للحكومة أن تعقد قرضا إلا بعد موافقة مجلس الوزراء وصدور مرسوم ملكى بذلك .

المادة الثالثة والستون : يدرس مجلس الوزراء ميزانية الدولة ويصوت عليها فصلا فصلا وتصدر بموجب مرسوم ملكى .

المادة الرابعة والستون : كل زيادة يراد إحداثها على الميزانية لا تكون إلا بموجب مرسوم ملكى .

المادة الخامسة والستون : يرفع وزير المالية والاقتصاد الوطنى الحساب الختامى للدولة عن العام المالى المنقضى إلى رئيس مجلس الوزراء لإحالته إلى مجلس الوزراء لغرض اعتماده.

رئاسة مجلس الوزراء :

المادة السادسة والستون : الملك رئيس مجلس الوزراء هو الذى يوجه السياسة العامة للدولة ، ويكفل التوجيه والتنسيق والتعاون بين مختلف الأجهزة الحكومية ويضمن الانسجام والاستمرار والوحدة فى أعمال مجلس الوزراء، وله الإشراف على مجلس الوزراء والوزارات والأجهزة الحكومية، وهو الذى يراقب تنفيذ الأنظمة واللوائح والقرارات وعلى جميع الوزارات والأجهزة الحكومية الأخرى أن تدفع إلى رئيس مجلس الوزراء خلال تسعين يوما من بداية كل سنة مالية تقريرا عما حققته من إنجازات مقارنة لما ورد فى الخطة العامة للتنمية خلال السنة المالية المنقضية وما واجهها من صعوبات وما تراه من مقترحات لحسن سير العمل فيها .

التشكيلات الإدارية لمجلس الوزراء :

المادة السابعة والستون : يدخل فى تشكيلات مجلس الوزراء الإدارية الأجهزة الآتية :

أولا : ديوان رئاسة مجلس الوزراء

ثانيا : الأمانة العامة لمجلس الوزراء .

ثالثا : هيئة الخبراء .

ويبين النظام الداخلى لمجلس الوزراء تشكيلات هذه الأجهزة واختصاصاتها وكيفية قيامها بأعمالها.

المادة الثامنة والستون : يصدر النظام الداخلى لمجلس الوزراء بأمر ملكى.

المادة التاسعة والستون : لا يجرى تعديل هذا النظام إلا بالطريقة التى تم بها إصداره .

تحديد مدة عمل من يشغل الوزارة :

بعون الله تعالى

نحن فهد بن عبد العزيز آل سعود

ملك المملكة العربية السعودية

بعد الاطلاع على المادة الثامنة والخمسين من النظام الأساسى للحكم الصادر بالأمر الملكى رقم ١/ ٩٠ وتاريخ ٢٧/٨/ ٢/ ٤هـ .

وبعد الاطلاع على نظام الوزراء ونواب الوزراء وموظفى المرتبة الممتازة الصادر بالمرسوم الملكى رقم م/ ١٠ وتاريخ ١٨/٣/ ١٣٩١هـ وبناء على ما تقتضيه المصلحة العامة.

أمرنا بما هو آت :

أولا : لا تزيد مدة شغل من يعين برتبة وزير بالمرتبة الممتازة لمرتبته عن أربع سنوات وتنتهى خدمته بنهاية هذه المدة ما لم يصدر أمر ملكى بتجديدها.

ثانيا : تنتهى خدمة من يشغل رتبة وزيرا المرتبة الممتازة وقت صدورها هذا الأمر بعد مضى سنتين من تاريخ صدوره ما لم يصدر أمر ملكى بتجديد خدمته لمدة لا تزيد عن سنتين أخريين وتنتهى خدمته بنهاية هذه المدة ما لم يصدر أمر ملكى بتجديدها وفقا للبند (أولا) من هذا الأمر .

ثالثا : على نائب رئيس مجلس الوزراء والوزراء كل ما يخصه تنفيذ أمرنا هذا.

نظام مجلس الشورى

لوائح وقواعد مجلس الشورى :

بعون الله تعالى

نحن فهد بن عبد العزيز آل سعود

ملك المملكة العربية السعودية

بعد الاطلاع على نظام مجلس الشورى الصادر بالأمر الملكى رقم ١/ ٩١ وتاريخ ٢٧ / ٨ / ١٤١٢هـ .

أمرنا بما هو آت :

أولا : إصدار ما يلى :

١ ــ اللائحة الداخلية لمجلس الشورى بالصيغة المرفقة بهذا .

٢ ــ لائحة حقوق أعضاء مجلس الشورى وواجباتهم بالصيغة المرفقة بهذا .

٣ ــ قواعد تنظيم الشؤون المالية والوظيفية لمجلس الشورى بالصيغة المرفقة بهذا.

٤ ــ قواعد التحقيق والمحاكمة لعضو مجلس الشورى وإجراءاتها بالصيغة المرفقة بهذا .

ثانيا : تنشر هاتان اللائحتان والقواعد فى الجريدة الرسمية ويعمل بهما من

تاريخ أمرنا هذا :

اللائحة الداخلية لمجلس الشورى :

الباب الأول : اختصاصات رئيس المجلس ونائبة الأمين العام :

المادة الأولى : يشرف رئيس المجلس على جميع أعمال المجلس ويمثله فى علاقاته بالجهات والهيئات الأخرى ويتكلم باسمه .

المادة الثانية : يرأس رئيس المجلس جلسات المجلس واجتماعات الهيئة العامة كما يرأس اجتماعات اللجان التى يحضرها .

المادة الثالثة : يفتتح رئيس المجلس الجلسات ويعلن انتهاءها ويدير المناقشات خلالها، ويشترك فى هذه المناقشات ويأذن بالكلام ويحدد موضوع البحث ويوجه نظر المتكلم إلى التزام حدود الموضوع والوقت، وينهى المناقشة ويطرح الموضوعات للتصويت، وله أن يتخذ ما يراه ملائما وكافيا لحفظ النظام فى أثناء الجلسات.

المادة الرابعة : لرئيس المجلس دعوة المجلس أو الهيئة العامة أو أية لجنة من اللجان إلى عقد جلسة طارئة لبحث موضوع معين .

المادة الخامسة : يقوم نائب رئيس مجلس الشورى بمعاونة رئيس المجلس فى حالة حضوره ويتولى صلاحياته فى حالة غيابه .

المادة السادسة : يتولى نائب الرئيس جلسات المجلس واجتماعات الهيئة العامة عند غياب الرئيس وفى حالة غيابهما يتولى رئاسة المجلس من يختاره الملك ويكون لهما فى إدارة هذه الجلسات الاختصاصات المقررة لرئيس المجلس .

المادة السابعة : يحضر الأمين العام أو من ينوب عنه جلسات المجلس واجتماعات الهيئة العامة ، ويشرف على تحرير المحاضر ويبلغ مواعيد الجلسات وجدول الأعمال للأعضاء بالإضافة إلى أى أعمال تحال إليه من المجلس أو من الهيئة العامة أو من رئيس المجلس ، ويكون مسؤولاً أمام رئيس المجلس عن شؤون المجالس المالية والإدارية .

الباب الثانى : الهيئة العامة للمجلس :

المادة الثامنة : تتكون الهيئة العامة للمجلس من رئيس المجلس ونائبه ورؤساء لجان المجلس المتخصصة .

المادة التاسعة : لا يكون اجتماع الهيئة العامة نظاميًا إلا إذا حضره ثلثا أعضائها على الأقل، وتصدر قراراتها بموافقة أغلبية الأعضاء الحاضرين وعند التساوى يرجح الجانب الذى صوت معه رئيس الاجتماع.

المادة العاشرة : يحرر لكل اجتماع من اجتماعات الهيئة العامة محضر يدون فيه تاريخ الاجتماع ومكانه وأسماء الحاضرين والغائبين وملخص لمناقشات الحاضرين.

المادة الحادية عشر : تختص الهيئة العامة بما يلى :

أ ـ وضع الخطة العامة للمجلس ولجانه بما يمكنه من إنجاز أعماله وتحقيق أهدافه.

ب ـ وضع جدول أعمال جلسات المجلس.

جـ ـ الفصل فيما يحيله إليها رئيس المجلس أو من اعتراضات على مضمون محاضر الجلسات أو على نتائج الاقتراع وفرز الأصوات أو غيرها من الاعتراضات التى قد تتنافى أثناء جلسات المجلس ويكون قرارها فى ذلك نهائيا .

د ـ إصدار القواعد اللازمة لتنظيم أعمال المجلس وأعمال لجانه وذلك بما لا يتعارض مع نظام المجلس ولوائحه .

الباب الثالث : الجلسات :

المادة الثانية عشرة : يعقد مجلس الشورى جلسة عادية كل أسبوعين على الأقل ويحدد يوم الجلسة وموعدها بقرار من رئيس المجلس ولرئيس المجلس تقديم الجلسة أو تأجيلها إذا دعت الحاجة إلى ذلك بالجهات والهيئات الأخرى ويتكلم باسمه.

والله الهادى للصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

نظام المناطق

المادة الأولى

يهدف هذا النظام إلى رفع مستوى العمل الإدارى والتنمية فى مناطق المملكة، كما يهدف إلى المحافظة على الأمن والنظام (وكفالة حقوق المواطنين وحرياتهم) فى إطار الشريعة الإسلامية .

المادة الثانية

تنظم مناطق المملكة ومقر إمارة كل منطقة بأمر ملكى بناء على توصية من وزير الداخلية .

المادة الثالثة

تتكون كل منطقة إدارياً من عدد من المحافظات فئة (أ) والمحافظات فئة (ب) والمراكز فئة (أ) والمراكز فئة (ب) ويراعى فى ذلك الاعتبارات السكانية ، والجغرافية ، والأمنية ، وظروف البيئة ، وطرق المواصلات ، وترتبط المحافظات بأمير المنطقة ويتم تنظيمها بأمر ملكى بناء على توصية من وزير الداخلية ، أما المراكز فيصدر بإنشاءها وارتباطها قرار من وزير الداخلية بناء على اقتراح من أمير المنطقة .

المادة الرابعة

يكون لكل منطقة أمير بمرتبة وزير كما يكون له نائب بالمرتبة الممتازة يساعده فى أعماله ويقوم مقامه عند غيابه ويتم تعيين الأمير ونائبه وإعفاؤهما بأمر ملكى بناء على توصية من وزير الداخلية .

المادة الخامسة

يكون أمير المنطقة مسؤولاً أمام وزير الداخلية .

المادة السادسة

يؤدى الأمين ونائبه قبل مباشرة العمل القسم التالى أمام الملك :

« أقسم بالله العظيم أن أكون مخلصاً لدينى ثم لمليكى وبلادى وألا أبوح بسر من أسرار الدولة وأن أحافظ على مصالحها وأنظمتها وأن أؤدى أعمالى بالصدق والأمانة والإخلاص والعدل » .

المادة السابعة

يتولى أمير كل منطقة إدارتها وفقاً للسياسة العامة للدولة ووفقاً لأحكام هذا النظام وغيره من الأنظمة واللوائح وعليه بصفة خاصة .

أ - المحافظة على الأمن والنظام والاستقرار واتخاذ الإجراءات اللازمة لذلك وفقاً للأنظمة واللوائح .

ب - تنفيذ الأحكام القضائية بعد اكتسابها صفتها النهائية .

جـ - كفالة حقوق الأفراد وحرياتهم وعدم اتخاذ أى إجراء يمس تلك الحقوق والحريات إلا فى الحدود المقررة شرعاً ونظاماً .

د - العمل على تطوير المنطقة اجتماعيا واقتصاديا وعمرانيا .

هـ - العمل على تنمية الخدمات العامة فى المنطقة ورفع كفايتها .

و - إدارة المحافظات والمراكز ومراقبة أعمال محافظى المحافظات ورؤساء المراكز والتأكد من كفايتهم فى القيام بواجباتهم .

ز - المحافظة على أموال الدولة وأملاكها ومنع التعدى عليها .

ح - الإشراف على أجهزة الحكومة وموظفيها فى المنطقة للتأكد من حسن أدائهم لواجباتهم بكل أمانة وإخلاص وذلك مع مراعاة ارتباط موظفى

الوزارات والمصالح المختلفة فى المنطقة بمراجعهم .

ط - الاتصال مباشرة بالوزراء ورؤساء المصالح وبحث أمور المنطقة معهم بهدف رفع كفاية أداء الأجهزة المرتبطة بهم مع إحاطة وزير الداخلية بذلك .

ى - تقديم تقارير سنوية لوزير الداخلية عن كفاية أداء الخدمات العامة فى المنطقة وغير ذلك من شؤون المنطقة وفقاً لما تحدده اللائحة التنفيذية لهذا النظام .

المادة الثامنة

يعقد اجتماع سنوى برئاسة وزير الداخلية لأمراء المناطق لبحث الأمور المتعلقة بالمناطق ويرفع وزير الداخلية تقريراً بذلك لرئيس مجلس الوزراء .

المادة التاسعة

يعقد اجتماع برئاسة أمير المنطقة مرتين فى السنة على الأقل لمحافظى المحافظات لبحث شؤون المنطقة ويرفع الأمير تقريراً بذلك لوزير الداخلية .

المادة العاشرة

أ - يعين لكل منطقة وكيل أو أكثر بمرتبة لا تقل عن المرتبة الرابعة عشرة بقرار من مجلس الوزراء بناء على توصية من وزير الداخلية .

ب - يكون لكل محافظة من فئة (أ) محافظ لا تقل مرتبته عن الرابعة عشرة يعين بأمر من رئيس مجلس الوزراء وبناء على توصية من وزير الداخلية ويكون لها وكيل لا تقل مرتبته عن الثانية عشرة يعين بقرار من وزير الداخلية بناء على توصية من أمير المنطقة .

جـ - يكون لكل محافظة من فئة (ب) محافظ لا تقل مرتبته عن الثانية عشرة يعين بقرار من وزير الداخلية بناء على توصية من أمير المنطقة .

د - يكون لكل مركز من فئة (أ) رئيس لا تقل مرتبته عن الثامنة يعين بقرار من وزير الداخلية بناء على توصية من أمير المنطقة .

هـ ـ يكون لكل مركز من فئة (ب) رئيس لا تقل مرتبته عن الخامسة ويتم تعيينه بقرار من أمير المنطقة .

المادة الحادية عشرة

على أمراء المناطق ومحافظى المحافظات ورؤساء المراكز الإقامة حيث مقر عملهم وعدم مغادرة نطاق عملهم إلا بإذن من الرئيس المباشر .

المادة الثانية عشرة

يباشر محافظو المحافظات ورؤساء المراكز مهامهم فى النطاق الإدارى لجهاتهم وفى حدود الصلاحيات الممنوحة لهم .

المادة الثالثة عشرة

على محافظى المحافظات إدارة محافظاتهم فى نطاق الاختصاصات المنصوص عليها فى المادة السابعة باستثناء ما ورد فى الفقرات (و ـ ط ـ ى) من تلك المادة وعليهم مراقبة أعمال رؤساء المراكز التابعين لهم والتأكد من كفايتهم بالقيام بواجباتهم وتقديم تقارير دورية لأمير المنطقة عن كفاية أداء الخدمات العامة وغير ذلك من شؤون المحافظة وفقا لما تحدده اللائحة التنفيذية لهذا النظام .

المادة الرابعة عشرة

على كل وزارة أو مصلحة حكومية لها خدمات فى المنطقة أن تعين رئيساً لأجهزتها فى المنطقة لا تقل مرتبته عن الثانية عشرة يرتبط بالجهاز المركزى مباشرة وعليه التنسيق مع أمير المنطقة فى مجال عمله .

المادة الخامسة عشرة

ينشأ فى كل منطقة مجلس يسمى مجلس المنطقة يكون مقره مقر إمارة المنطقة.

المادة السادسة عشرة

يتكون مجلس المنطقة من :

أ ـ أمير المنطقة رئيساً للمجلس .

ب ـ نائب أمير المنطقة نائباً لرئيس المجلس .

جـ ـ وكيل الإمارة .

د ـ رؤساء الأجهزة الحكومية فى المنطقة التى يصدر لتحديدها قرار من رئيس مجلس الوزراء بناء على توصية من وزير الداخلية .

هـ ـ عدد من الأهالى لا يقل عن عشرة أشخاص من أهل العلم والخبرة والاختصاص يتم تعيينهم بأمر من رئيس مجلس الوزراء بناء على ترشيح أمير المنطقة وموافقة وزير الداخلية وتكون مدة عضويتهم أربع سنوات قابلة للتجديد .

المادة السابعة عشرة

يشترط فى عضو المجلس ما يلى :

أ ـ أن يكون سعودى الجنسية بالأصل والمنشأ .

ب ـ أن يكون من المشهود لهم بالصلاح والكفاية .

جـ ـ ألا يقل عمره عن ثلاثين سنة .

د ـ أن تكون إقامته فى المنطقة .

المادة الثامنة عشرة

للعضو أن يقدم اقتراحات إلى رئيس المنطقة كتابة وذلك فى الأمور الداخلة فى اختصاص المجلس ويدرج الرئيس كل اقتراح فى جدول أعمال المجلس لعرضه ودراسته .

المادة التاسعة عشرة

لا يجوز لعضو مجلس المنطقة أن يحضر مداولات المجلس أو لجانه إذا كان الموضوع يتعلق بمصلحة شخصية له أو مصلحة من لا تقبل شهادته له أو كان وصيا أو قيما أو وكيلاً لمن له مصلحة فيه .

المادة العشرون

إذا رغب العضو المعين فى الاستقالة قدم طلباً بذلك إلى وزير الداخلية عن طريق أمير المنطقة ، ولا تعتبر الاستقالة نافذة إلا بعد موافقة رئيس مجلس الوزراء بناء على اقتراح وزير الداخلية .

المادة الحادية والعشرون

فى غير الأحوال المنصوص عليها فى هذا النظام لا يجوز عزل العضو المعين خلال مدة عضويته إلا بأمر من رئيس مجلس الوزراء بناء على اقتراح وزير الداخلية .

المادة الثانية والعشرون

فى حالة خلو مكان أى عضو معين لأى سبب من الأسباب يعين بدله خلال مدة ثلاثة أشهر من تاريخ الخلو، وتكون مدة العضو الجديد هى المدة الباقية من مدة سلفه وذلك وفقاً لما ورد فى فقرة (٥) من المادة السادسة عشرة من هذا النظام.

المادة الثالثة والعشرون

يختص مجلس المنطقة بدراسة كل ما من شأنه رفع مستوى الخدمات فى المنطقة ، وله على وجه الخصوص ما يلى :

أ ـ تحديد احتياجات المنطقة واقتراح إدراجها فى خطة التنمية للدولة .

ب ـ تحديد المشاريع النافعة حسب أولويتها واقتراح اعتمادها فى ميزانية الدولة السنوية .

جـ ـ متابعة تنفيذ ما يخص المنطقة من خطة التنمية والموازنة والتنسيق فى ذلك .

المادة الرابعة والعشرون

يقوم مجلس المنطقة باقتراح أى عمل من أعمال النفع العام لمواطنى المنطقة

وتشجيع إسهام المواطنين فى ذلك ورفعه إلى وزير الداخلية .

المادة الخامسة والعشرون

يحظر على مجلس المنطقة النظر فى أى موضوع يخرج عن الاختصاصات المقررة له حسب هذا النظام وتكون قراراته باطلة إذا تجاوز ذلك ويصدر وزير الداخلية قراراً بذلك .

المادة السادسة والعشرون

يعقد مجلس المنطقة دورة عادية كل ثلاثة أشهر بدعوة من رئيسه ، وللرئيس أن يدعو المجلس لاجتماع غير عادى إذا رأى حاجة لذلك .

وتشمل الدورة الجلسة أو الجلسات التى تعقد بناء على دعوة واحدة ، ولا يجوز فض الدورة إلا بعد النظر فى جميع المسائل الواردة فى جدول الأعمال ومناقشتها .

المادة السابعة والعشرون

يعتبر حضور اجتماعات مجلس المنطقة واجباً وظيفياً بالنسبة للأعضاء المنصوص عليهم فى الفقرتين (جـ ، د) من المادة السادسة عشرة من هذا النظام ، ويتعين عليهم الحضور بأنفسهم أو من يقوم مقامهم فى حالة غيابهم عن عملهم .

وبالنسبة للأعضاء المنصوص عليهم فى الفقرة (هـ) من المادة المذكورة يعتبر تخلف العضو عن حضور دورتى انعقاد متتاليتين بدون عذر مقبول موجباً للإقالة من المجلس ، وفى هذه الحالة لا يجوز تعيين هذا العضو لعضوية المجلس مرة أخرى إلا بعد مضى سنتين من تاريخ صدور قرار إقالته .

المادة الثامنة والعشرون

لا تكون اجتماعات مجلس المنطقة نظامية إلا إذا حضرها ثلثا عدد أعضائه على الأقل وتصدر قراراته بالأغلبية المطلقة لأصوات أعضاء المجلس ، فإذا تساوت الأصوات يرجح الجانب الذى صوت معه الرئيس .

المادة التاسعة والعشرون

لمجلس المنطقة أن يكون عند الحاجة لجانا خاصة لدراسة أى أمر يدخل فى اختصاصه ، وله أن يستعين بمن يراه من ذوى الخبرة والاختصاص ، وله أن يستدعى من يشاء لحضور اجتماعات المجلس والاشتراك فى المناقشة دون أن يكون له حق تصويت .

المادة الثلاثون

لوزير الداخلية أن يدعو المجلس للاجتماع برئاسته فى أى مكان يراه كما أن له رئاسة أى اجتماع يحضره .

المادة الحادية والثلاثون

لا يجوز انعقاد مجلس المنطقة إلا بدعوة من رئيسه أو نائبه أو بأمر من وزير الداخلية .

المادة الثانية والثلاثون

على رئيس المجلس رفع نسخة من القرارات إلى وزير الداخلية .

المادة الثالثة والثلاثون

على رئيس مجلس المنطقة إبلاغ الوزارات والمصالح الحكومية بما يخصها من قرارات المجلس .

المادة الرابعة والثلاثون

على الوزارات والمصالح الحكومية أن تراعى قرارات مجلس المنطقة بالنسبة لما ورد فى الفقرتين (أ،ب) من المادة الثالثة والعشرين من هذا النظام ، وإذا رأت الوزارة أو المصلحة الحكومية عدم الأخذ بقرار مجلس المنطقة فيما ذكر فعليها أن توضح أسباب ذلك لمجلس المنطقة ، وإذا لم يقتنع مجلس المنطقة بملائمة الأسباب التى أوضحتها الوزارة أو المصلحة فيرفع عن ذلك إلى وزير الداخلية للعرض عنه لرئيس مجلس الوزراء .

المادة الخامسة والثلاثون

تحيط كل وزارة ومصلحة لها خدمات فى المنطقة مجلس المنطقة بما تقرر للمنطقة من مشاريع فى الميزانية فور صدورها كما تحيطه بما تقرر للمنطقة فى خطة التنمية.

المادة السادسة والثلاثون

لكل وزير ورئيس مصلحة أن يستطلع رأى مجلس المنطقة حول أى موضوع يتعلق باختصاصه فى المنطقة وعلى المجلس إبداء رأيه فى ذلك .

المادة السابعة والثلاثون

يحدد رئيس مجلس الوزراء بناء على اقتراح وزير الداخلية مكافآت لرئيس مجلس المنطقة وأعضائه ويراعى فى تقديرها تكاليف المواصلات والإقامة .

المادة الثامنة والثلاثون

لا يحل مجلس المنطقة إلا بأمر من رئيس مجلس الوزراء بناء على اقتراح وزير الداخلية على أن يتم تعيين أعضائه مجدداً خلال ثلاثة أشهر من تاريخ الحل ، وفى أثناء فترة الحل يمارس الأعضاء المنصوص عليهم فى الفقرتين (جـ ، د) من المادة السادسة عشرة من هذا النظام برئاسة أمير المنطقة اختصاصات المجلس .

المادة التاسعة والثلاثون

يكون لمجلس المنطقة أمانة فى إمارة المنطقة تتولى إعداد جدول أعماله وتوجيه الدعوات فى مواعيدها وتسجيل المناقشات التى تجرى فى أثناء الجلسات وفرز الأصوات وإعداد محاضر الجلسات وتحرير القرارات والقيام بالأعمال اللازمة لضبط جلسات المجلس وتدوين قراراته .

المادة الأربعون

يصدر وزير الداخلية اللوائح اللازمة لتنفيذ هذا النظام .

المادة الحادية والأربعون

لا يجوز تعديل هذا النظام إلا بالطريقة التى تم بها إصداره .

المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع : ٤١٣٤/١٩٩٤م

I . S .B .N : 977 - 255 - 090 - 3

مطابع الوفاء ـ المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت ٣٥٦٢٣٠/٣٥٦٢٢٠/٣٤٢٧٢١